

أرسين لويين

أرسين لويين في قاع البحر



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي "موريس بلان" وقد لاقت إقبلاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والانتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .
إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس .
وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .
فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الاسطه

يقدم

الرواية المعربة

أرسين لوبين في قاع البحر

(٨)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب
وبأية وسيلة إلا بعد الحصول علي موافقة خطية من الناشر

الفصل الأول

لم يكن هناك من يعرف - على وجه التأكيد - مكان "أرسين لوبين". كانت الصحف لا تنفك تطلع على الناس بنبا من أنبائه أو نادرة من نوادره .. فهو اليوم قد سرق جواهر (الراجا راندات) وزار السفارة الإنجليزية فاستولى على جواهر المدعوين إلى إحدى مآدبها . وهو بالأمس احتال على البارون "بروكي" فسلبه بضعة ملايين من الفرنكات ومجموعة نادرة من الصور الشهيرة .. وهو غداً يتوعد بسرقة سندات ديون الحرب في موعد يحدده بالدقيقة والثانية .. هذا إلى عبثه المعروف بالمفتش "بيشو"، وتلك "المقالب" الظريفة التي كان يدبرها له من يوم إلى آخر بطريقة تثير الابتسام وتزيد الجمهور إعجاباً بهذا اللص الظريف الجريء الذي ليس لجراته حد تقف عنده .

وعلى حين فجأة انقطعت أخباره واختفى اسمه من الصحف .

فاين ذهب ؟ واين اختفى !.

كان هذا السؤال الذي لا يفتأ يتردد في الأذهان وتجري به الألسن دون أن يدري له أحد من جواب !.

فهناك صحف تؤكد أنه سافر إلى الولايات المتحدة ليسرق مناجم الذهب الموجودة هناك .. وهناك صحف أخرى تقول بنفس اللهجة التأكيدية إنه شوهد يحوم حول بنك إنجلترا بغية سرقة .. وهناك طائفة ثالثة من الصحف تؤكد أن "لوبين" هجر عالم اللصوصية واشتغل بالسياسة ، وإنه يتخذ العدة لإثارة الدول وإشعال حرب عالمية تجتاح الدنيا .

وهكذا أخذت كل صحيفة تضرب على نغمة معينة ، ولكنها كلها كانت تخمينات من وحي الخيال أرادت بها الصحف تسلية القراء وإثارة أعصابهم على أن اضرف نبأ نشرته الصحف في ذلك الصدد هو ما جاءت به صحيفة "إيكودي فرانس" إذ نشرت في صدرها بالخط العريض في أحد الأيام أنباء مثيرة تحت عناوين بارزة منها :

"أرسين لوبين" الجبان يهرب من "بيشو" العظيم - "بيشو" يكاد يقبض على "لوبين" .. و "لوبين" يقوسل إليه باكياً - "لوبين" يهجر الميدان خوفاً

من "بيشو".

وتحت هذه العناوين الضخمة نبا فحواء أن "أرسين لوبين" سئم النضال مع المفتش "بيشو" وخشي عاقبة هذه الحرب الطاحنة بينهما فائر أن ينجو بنفسه من السجن الذي يتهدهه فغادر فرنسا وتوارى عن العيون .

وعلقت الصحيفة على النبا بقولها : إن ما فعله "لوبين" هو عين الحكمة فالناس جميعا يعلمون الا قبل له بمقاومة "بيشو" ، لأن "بيشو" - كما هو واضح لكل ذي إدراك - أكثر منه جراءة وأوفر نكاء وأشد حنكة .. فالحرب بينهما غير متكافئة و "لوبين" - كما يعلم الناس - ضعيف جبان .

وواضح أن صحيفة "إيكودي فرانس" وهي المعروفة بأنها لسان حال "لوبين" قد أرادت بهذا الخبر أن تنهك على المفتش "بيشو" وأن تنتقص من قدره . وقد افلحت في بغيتها لأن هذا النبا ظل يوما كاملا حديث الأندية . وما جرى ذكره إلا ضحك الناس ساخرين من "بيشو" الذي تقول الصحيفة إنه أوفر نكاء من "لوبين" !.

وكان الغريب في الأمر أنه لم يمض على ذلك يومان حتى أدلى المفتش "بيشو" إلى نفس الصحيفة بحديث قال فيه : إنه يعتقد أن النبا الذي نشر عن فرار "لوبين" حقيقي ، وأن التفسير الوحيد لاختفاء "لوبين" هو أنه خشي بطشه (أي بطش "بيشو") .

وعلقت صحيفة "إيكودي فرانس" على حديث "بيشو" بقولها :

- ألم نقل لكم أيها القراء إنه لم يمض على ذلك يومان حتى أدلى المفتش "بيشو" إلى نفس الصحيفة بحديث قال فيه إنه يعتقد أن النبا الذي نشر عن فرار "لوبين" حقيقي لا شك فيه . وأن التفسير الوحيد لاختفاء "لوبين" هو أنه خشي بطشه (أي بطش "بيشو") .

وعلقت صحيفة "إيكودي فرانس" على حديث المفتش "بيشو" بقولها :
"ألم نقل لكم أيها القراء إن المفتش "بيشو" أوفر نكاء وأكثر جراءة مما نظن وتظنون !".

فكان هذا التعليق الظريف مثار الضحك بضعة أيام .

أما الحقيقة التي جهلها الناس فهي أن "لوبين" فعل في ذلك الوقت

كما يفعل أصحاب الملايين ، فاقام في يخت جميل في خليج سانت باولو بالقرب من مدينة دينار على الشاطئ الفرنسي منقطعاً عن العالم وما فيه من سرقات ومصادمات بالمفتش "بيشو" وامثال "بيشو" . وبدلاً من أن يكون نزير السجن نراه يمضي وقته في السباحة او صيد السمك او الاستلقاء في الشمس على ظهر يخته "كورسير" يطالع كتاباً .

* * *

وفي جوف إحدى الليالي استيقظ "لويين" فجأة . !
أيقظته صرخة ما كانت لتنبه من النوم أحداً سواه . كانت صرخة خافتة بعيدة كأنها صادرة من مكان سحيق . وقد جاءت إلى أذنه مختلطة بهدير البحر . ولو أن رجلاً غيره سمعها لما نبهته او شعر بها ، ولكن "لويين" أشبه بالحيوان الحذر الذي يثب من النوم العميق إلى اليقظة الشاملة في غمضة عين لأقل خطر يقترب منه .

واستيقظ "لويين" في لحظة خاطفة دون أن تنبهر أنفاسه او تشتد ضربات قلبه . كان الفرق الوحيد عنده بين النوم واليقظة هو أن يفتح عينيه او أن يغمضهما .. دون أن تنم سحنته او حركات تنفسه عما عراه من غضب ودهشة لهذه اليقظة المفاجئة .

وإذ ذاك سمع دوي الطلق الناري .

أخذ الدوي ينمو وينتشر ويتمدد حتى بلغ أذنيه ضعيفاً غير واضح وقد صاحبه صرخة أخرى خافتة أعقبها صوت جسم يسقط في الماء .

وثب "لويين" من فراشه وخرج إلى ظهر اليخت فتلقاه الضباب بنسماته الباردة .. ووقف مستنداً بظهره إلى غرفة القيادة كأنه فهد يتربص بفريسته وقد أصاح أذنيه للسمع .

كان مفترضاً - طبقاً للنتائج - أن يكون القمر بدراً يتوسط السماء . ولكن الضباب الذي كان يسود البحر في هذه اللحظة حجب القمر وشمل الأرض برداء مظلم لا تكاد تنفذ فيه العين . وأرسل "لويين" بصره فيما حوله فرأى الكائنات والجمادات معدومة لا وجود لها . وحتى ذلك اليخت القريب من يخته كانت أنواره المتلألئة قد استحالت في هذا الضباب أشبه شيء بشرر يتالق ثم يخبو .

ففي هذا الضباب المعتم لم يكن في وسعه أن يرى شيئا .. ولكن كان في إمكانه أن يصفى .. وقد أصغى .

سمع رنين سلسلة يحركها الماء .. ثم سمع صوت حبل يحركه الهواء فيصطدم بجدار يخت قريب .. ثم سمع صوت الحبل وهو يحتك بجدار اليخت .

كما سمع جلبة اصوات صادرة من الجهة التي صدر منها دوي الطلق الناري .

واعقب هذا سكون شامل !

ولكنه كان موقنا بأن هذا السكون لن يستمر طويلا . واخذ يدير رأسه يمينا وشمالا مرهقا أذنيه للسمع .

ثم صكت أذنيه الاصوات التي كان يترقبها ويتوقعها .. سمع صوت مجداف يضرب وجه الماء ، وصوت قارب ينزلق على سطحه .

واخذ الصوت يشتد تدريجيا حتى غدا واضحا مسموعا في جلاء . واخيرا أدرك أن القارب يتجه إلى ناحيته .

ولبث "لوبين" ساكنا في مكانه ولكن كانت كل عضلة من عضلاته قد تحفزت وتوثبت .. وكل جارحة من جوارحه قد تهيات وتنبهت .

لقد هجر العالم بمغامراته .. ومصادماته .. وحوادثه العجيبة . ولكن العالم يأبى أن يهجره .. ها هو ذا يأتي إليه حتى سلم يخته .. لقد ظن أنه هنا يعيش بمنجاة عن المغامرات ودوي الطلقات . ولكن المغامرات جاءت إليه تسعى واصطك في أذنيه دوي الرصاص .

وعلى حين فجأة أدرك أن في البحر شخصا يسبح .. وأن هذا الشخص يتجه أيضا إلى اليخت ..

وجعل يحدق إلى الظلام .. وفي دائرة الأنوار المنعكسة من يخته على صفحة الماء رأى الشبح .

وكان شبح امرأة !..

لم يكن "لوبين" موقنا كل اليقين بأنها امرأة .. ولكن ضربات الذراعين في الماء .. وحركات الرأس .. وشكل القوام .. كل هذا أوحى إليه فيما يشبه الإلهام بأنها امرأة .

وسره أن تكون كذلك . فلو أن محور المغامرة كان رجلا لفقدت المغامرة

لذتها وطلاوتها .. أما ومحورها امرأة فالأمر يختلف كثيراً .
اقتربت الفتاة من اليخت .. وكانما أدركها الإعياء فمدت ذراعها
وتعلقت بحباله وكفت عن السباحة .

وكان "لوبيين" لا يزال في موقفه عند غرفة القيادة مستترا في ظلها .
رفعت الفتاة رأسها .. وراته ..!

اجفلت وبدا عليها أنها تهتم بأن تعاود السباحة مبتعدة عن اليخت
ولكن ضربات المجاديف كانت تقترب وتزداد وضوحاً في السمع .
وكانت الفتاة تعلم أنه ليس من الحكمة أن تعود إلى السباحة والقارب
في إثرها يسعى إليها ويحاول أن يقتنصها .

وكان "لوبيين" لا يجهل حقيقة الموقف . ولا يجهل العواصف التي
تتضارب في صدرها . ففي خطوة واحدة أسرع إلى طرف اليخت
وانحنى فوق الفتاة ومد يده فرفعها في غير مشقة كأنها طفلة صغيرة .
لم تصرخ الفتاة ولم تستنجد إذ كانت تعلم أن في الاستنجاد شراً لا قبل
لها به .

حملها "لوبيين" وأسرع بها إلى غرفة القيادة فادخلها واوحد الباب
عليها ورجع إلى مكانه على ظهر اليخت في نفس اللحظة التي تراءى
فيها القارب .

وأرسل "لوبيين" بصره إلى من في القارب .. كانوا ثلاثة .. اثنين منهم
في ثياب البحارة وقد تولى أحدهما المجاديف وتولى الثاني الدفة . أما
الثالث فكان في ثياب عادية وقد جلس في مقدم القارب ، ولم يقف إلا
حين دنوا من اليخت .

وأدرك "لوبيين" أن هذا الشخص الثالث هو "الرئيس" فجعل يتفرس
فيه في عناية واهتمام . وكانت سحنة الرجل جامدة لا تنم عن شيء .
ولكن "لوبيين" الخبير بالطباع وبالناس أدرك أنه إزاء رجل جبار عنيد لا
يحجم عن شيء .. كما استدل من أنفه الأقنى المعقوف الذي يشبه منقار
النسر على أنه رجل جشع يعبد المال .

وفجأة رفع الرجل يده فإذا فيها مصباح كهربائي انبعث منه ضوء
ساطع أخذ الرجل يوجهه هنا وهناك على سطح الماء ، ثم استقر الضوء
على وجه "لوبيين" .

وكان "لوبيين" يعرف أن وجهه قطعة من حجر لا يمكن أن يقرأ فيها
أذكى الناس شيئا .

وحول صاحب المصباح ضوءه إلى ناحية أخرى . وتكلم "لوبيين" قائلا
في هدوء وغير اكتراث :
- أفقدت شيئا ؟

ارتد إليه الضوء ثانية ، وتكلم الرجل في صوت واضح النبرات خال
من الشعور قائلا : ليس تماما .. أرايت شخصا يسبح في هذه الناحية ؟
فتمتم "لوبيين" وهو يضحك قائلا :

- لم أر إلا السمك بالتأكيد .. إلا إذا كنت تبحث عن أحد عابري
المانش.. ولكن هؤلاء السباحين يتجهون عادة إلى ناحية كاليه .

ساد صمت قصير قبل أن يضحك الرجل . ولكن لم يرغب عن "لوبيين" أن
ضحكته كانت جوفاء مفتعلة .. كانت مجرد مماشاة للظروف ومحاولة
للتخلص من موقف تحفه علامات التعجب والاستفهام .

- كلا .. بل إنني أبحث عن رجل من جماعتنا قبل رهاننا سخيفاً ..
واعتقد أنه لابد أن يكون قد عاد إلى اليخت .

وعند هذا أدرك "لوبيين" أن المغامرة قد جاءت تسعى حتى بابه .. رهان
مصحوب بصرخات استنجاد وبدوي رصاصة ! إنه إذن يكون أعجب
رهان في الدنيا .. وما قال صاحب الأنف المعقوف ذلك إلا ليضل "لوبيين"
ويصرف ذهنه عن الحقيقة .

وخطر له فجأة أن من المحتمل أن الفتاة لصقة من لصوص السفن
أرادت أن تتسلل إلى اليخت فشعر بها من فيه وأطلقوا عليها النار .
ولكنه استبعد هذا الخاطر على الفور .. فلو أن الأمر كان كذلك لما كان
هناك ما يدعو ذا الأنف المعقوف إلى كتمان الحقيقة .

ولما ابتعد القارب فتح "لوبيين" باب غرفة القيادة وأوما إلى الفتاة
بأصبعه دون أن يتكلم فتبعته إلى قاعة الاستقبال في سكون .

الفصل الثاني

خلعت الفتاة قلنسوة السباحة فتهدل شعرها على كتفيها كستنائيا خلايا . وكانت شفتاها لا تزالان حمراوين مغريتين على الرغم مما اعتراهما من اثر الماء وبرودته . اما قوامها في ثوب الاستحمام الذي تلبسه فكان فتاناً يصح ان يتخذ منه احد الفنانين الموهوبين نمونجاً كاملاً .

على ان الشيء الذي راق "لوبيين" منها هو ذلك البريق الذي ينبعث من عينيها وينم عن المكر والخبت .

- وقال "لوبيين" في برود :

- إن الماء بارد الليلة . اليس كذلك ؟

- قليلاً .

فتح "لوبيين" احد الاسراج واخرج عددا من المناشف وضعها على الاركة مع برنس حمام ثم قال يخاطبها :

- اتفضلين قهوة ساخنة أم قدحا من الشراب ؟

فابرت عيناها في مكر ودهاء ثم مالبت ان استردت سكونها وقالت :

- شكرا لك .. إنني اوثر ان اعود . لا قبض قيمة الرهان . إنني مدينة لك بالشكر لانك .. لانك فهمت سريعا .. وساعدتني .

ومدت إليه يدها لتصافحه مودعة وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة ادارت رأس "لوبيين" وجعلته يحلم بضع لحظات .. ثم قال لها :

- أه .. نعم .

وتناول اليد الممدودة إليه .. ولكنه لم يدعها على الفور كما تقضي بذلك اصول المصافحة . وإنما وضع قدمه على طرف الاركة واسند

مرفقه إلى ركبته والتمع في عينيهِ الزرقاوين بريق يدل على المرح والابتهاج وقال :

- بالتأكيد .. لقد سمعت كلاماً عن رهان .

- وصدقني إنه كان رهانا سخيفا .

- وسحبت يدها من يده واسترسلت قائلة :

- كنا نتحدث عن سهولة الفرار في الظلام لا سيما إذا ساد الضباب

البحر . ولست ادري كيف قلت إن في وسعي أن أسبح إلى (دينار) وأعود دون أن يهتدوا إلي في أثناء السباحة ، فتراهنا على ذلك ولكنهم لسوء حظي كانوا يعثرون علي عندما تعلقت بيختك فانتشلتني أنت ولست ادري إذا كان الصعود إلى اليخت ضمن شروط الرهان أم لا .

- وإطلاق الرصاص ؟ .

فقطبت جبينها هنيهة ثم قالت :

- كان هذا جزءاً من الرهان زيادة في إتقان الناحية التمثيلية منه إذ كان المفترض أنني حضرت إلى السفينة بغية السرقة .

- وصراخ الاستنجاد ؟ .

- كان أيضاً جزءاً من المهزلة .. الواقع أنني اظن أننا كنا سخفاء في القيام بهذه المراهنة وفي وضع شروطها بهذا الشكل .

- ابتسم "لويين" وأشعل سيجارة ثم قال :

- إنني أنا نفسي أحب هذه المراهنات السخيفة فهي تساعد على تمضية السهرات الطويلة .. ولكن من الذي أطلق النار ؟ .

- الرجل الذي تحدث إليك من القارب .

- واظنه لم يطلق النار على نفسه خطأ ! . أما صرخة الاستنجاد

فكانت ذات رنة حقيقية فدعيني أهنئك على براعة التمثيل ! .

وكان صوته عادياً لا ينم عن شيء فلم تدر الفتاة إذا كان يتكلم جاداً أم مزاحاً .. وهل صدق روايتها أم أنكرها ؟ .

ووضع "لويين" سيجارته بين شفتيه ومد يده إلى ناحية الفتاة وهو يقول :

- وبالمناسبة .. ما هذا الكيس الجميل ؟ .

إذ كان هناك كيس من المطاط معلق بمنطقة الفتاة ... ولست يده الكيس قبل أن تتمكن الفتاة من التراجع .

وقالت في صوت هادئ :

- إنه كيس من ذلك الذي لا ينفذ منه الماء وهو يستعمل لحفظ السجائر في أثناء السباحة .. ألم تره من قبل ؟ .

- كلا .

وانزل قدمه من فوق الأريكة وتقدم إليها وهو يقول :

- اتسمحين بان القي عليه نظرة ؟

كان "لوبيين" يتكلم في لهجة مهذبة تدل على التاديب . ولكن الفتاة ارتدت إلى الوراء في حركة مبتعدة عنه وقالت :
- اظن .. اظن انه يجب ان اعود .. لاشك ان القلق قد استولى عليهم الآن لغيبتي .

فحنى "لوبيين" راسه وقال :

- هذا صحيح .. لقد كدت انسى انهم في انتظارك . ولكن ينبغي الا تعودى سباحة في مثل هذا الضباب وإلا تعرضت لخطر جسيم .. ومن المحتمل ان تضلي عن يخطك .. وليس من الحكمة ان تدوري في الماء في الظلام .. فدعيني ارجع بك إليهم .

- لا داعي لان تحمل نفسك هذه المشقة .. إن الماء في الواقع ليس بارداً .. والسباحة في الظلام تروق لي .

- اما إرجاعك إلى اليخت في قاربي فيطيب لي ! فدعيني اقم بهذه المهمة واعلمي انه ليست فيها أية مشقة .

وحاول ان يتقدمها إلى الباب ولكنها اعترضته بقولها :

- ارجوك ان تبقى فإن الرهان ليس ...

فقاطعها بقوله :

- تبأ للرهان يا عزيزتي ! إنك أجمل وأنضمر شبابا من أن ادعك إلى رحمة الأمواج !. فضلا عن هذا فقد خرقت قواعد الرهان بصعودك إلى يختي .. سأحملك إلى يخطك في قاربي .

- لن اذهب معك فارجوك الا تعقد الامر بتدخلك .

- بل إنك لن تذهبي إلا معي .

فعضت الفتاة شفتيها وقالت في تردد :

- هذا تطف منك .. ولكني لا اريد أن أجشمك أية مشقة . ولهذا لن اذهب .

فقال "لوبيين" في ابتهاج :

- في هذه الحالة ينبغي ان تستعملي هذه المناشف وأن تجيبي عن سؤالي بخصوص القهوة أو الشراب .. إنني اعرف بالتأكيد ان الامر قد يكون مريبا مثيرا للشكوك .. ولكني لا ابالي فإنني لست بالرجل الضيق

الذهن وإذا كان هذا اللقاء بدء رواية غرامية فدعيني أستهلها بأن أقول :
إن فمك أجمل فم رأيتَه .

فصاحت الفتاة قائلة :

- كلا .. كلا ..! إنني لن أدعك تعود بي إليهم !!

- هل أفهم من هذا أنك انتويت البقاء ؟.. هذا هو ما كنت أبغيه.. وما
دعنا نتحدث في الأمر فدعيني أسالك عما إذا كنت تجهلين أن ظهور فتاة
بساقين كساقيك جريمة يعاقب عليها القانون ؟.. إن هذه السيقان تبث
في الذهن أخبث الخواطر .. وليس من الإنصاف ..
- أرجوك !.

ونطقت بهذه الكلمة في نبرة بدا يسري إليها الغضب وقالت
مسترسلة :

- كان جميلا منك أن تساعدني فلا تفسد ما فعلت بما تقول .
واخذ "لوبين" نفسا طويلا من سيجارته ولم يقل شيئا . ولكنه جعل
يتفرس فيها ويدير عينيه في قوامها النضر الرشيق .
ومشت الفتاة إلى الباب محاولة أن تخرج . وبسط "لوبين" ذراعيه
محاوла أن يردّها إلى الوراء .. ولكنها دفعته في صدره بكل قوتها فتلقى
لكماتها بضحكة هازئة ولبث في مكانه جامدا كأنه تمثال من الحجر .
وعلى حين فجأة أدركت الفتاة أن يده امتدت في أثناء النضال إلى
الكيس المعلق في منطقتها فعبثت فيه وجاست خلال محتوياته .
وتراجعت الفتاة إلى الخلف مسرعة وحملت إلى وجهه فتمتم
"لوبين" يقول :

- كنت أظنه مغلقا .. وسجائرك من نوع عجيب .

تسارعت أنفاس الفتاة وقالت :

- لست أدري عم تتحدث .. دعني أخرج .

- كلا .

فنظرت إليه وقد التمعت عيناها وقالت في كلمات بطيئة :

- أتعرف ما يمكن أن يحدث لو أنني صرخت ؟..

- نعم .. أعرف أنني سأسمع صرخة موسيقية بديعة لم أسمع لها
مثيلا من قبل .. ولكنني أفضل أن أسمع حديثك العادي بدلا عن صراخك .

- لو اني صرخت لجمعت عليك نصف من في الميناء من الناس. فحنى رأسه قائلاً :

- يظهر انها ستكون ليلة حافلة بالصراخ .

- دعني اخرج حالا وإلا ..

نفث "لوبيين" الدخان من فمه وقال :

- اسمعي يا أختي .. اتعرفين ما يمكن أن يحدث لو اني صرخت ؟..

- ماذا تقول ؟..

فقال مجيباً :

- إن هذا ليس قاربك فيما اظن . ولو اني انا الذي قطعت البحر سباحة وصعدت إلى قاربك في مثل هذه الساعة فرأيتك مرتدية البيجاما لكان في وسعك أن تهدديني بالاستنجد . ولكن النقيض هو ما حدث :

هذا القارب ملك لي . وانت التي قطعت البحر سباحة وصعدت إلى قاربي .. فماذا يكون موقفك إذا كنت أنا الذي ساصرخ مستنجدا ؟. لا يمكنك بالتأكيد أن تزعمي أنني خطفتك إذ قد يخطر لأحد الأغبياء أن يسالك عن السبب الذي دعاك إلى عدم الاستنجد عندما خطفتك من يخطك وانتظرت حتى هذا الوقت .. وفضلاً عن هذا فانت تلبسين بذلة استحمام وهي مبتلة والماء لا يزال يقطر منها .. وليس معقولا أني اختطفتك من قاع البحر .. فال تفسير الوحيد هو أنك أنت التي دعوت نفسك إلى قاربي .. ونحن الآن في منتصف الساعة الرابعة بعد نصف الليل ولهذا قد يسالك غبي آخر عن السبب الذي دعاك إلى الانتظار إلى قبيل الفجر دون أن تفكري في الاستنجد إذا كانت زيارتك بريئة وإذا كنت قد حاولت الاعتداء عليك .. اسمعي يا صديقتي .. نحن الآن في ميناء فرنسي . وولاة الأمور الفرنسيون يفهمون حقائق الحياة حق الفهم؛ فإذا صرخت مستنجدة فسيغضون البصر عن استنجدك وسينصحونني بأن أقدم إليك بعض الهدايا !.. إنني أيتها العزيزة رجل وديع مسالم .. ولكن إذا حاولت أن تعتدي علي فساصرخ مستنجدا واجمع عليك نصف من في الميناء من الناس!..

فنظرت إليه الفتاة في برود وقالت :

- ما كنت أتوقع أن ألقى رجلا من طرازك .

- ولم لا يا عزيزتي ؟ والآن دعي الحوار جانبا ودعينا نتحدث قليلا في هدوء .. إنني أريد أن أعرف سر هذه اللعبة اللذيذة التي تبدأ بإطلاق النار في جوف الليل وإرغامك على السباحة في مثل هذا الضباب .. أريد أن أعرف السبب الذي يجعلك أنت وذا الأنف المعقوف تتعلقان بحكاية هذا الرهان ؟ وأي رهان هذا الذي من شروطه أن تسبحي وفي منطقتك جراب وفي الجراب مسدس محشو !

ومدت الفتاة يدها على عجل إلى الكيس المعلق في منطقتها فأخرجت منه مسدسا صوبته إلى "لوبيين" وهي تقول :

- أصبت ! إنني أحمل مسدسا في هذا الجراب ! إننا يا عزيزي في ميناء فرنسي . وولاة الأمور الفرنسيون يفهمون حقائق الحياة حق الفهم كما تقول أنت . فالمحلفون في فرنسا يعرفون أنه قد تكون لدى المرأة أسباب قوية تحملها على قتل عشيقها مما يجعلهم يقررون براءتها فهل لا تزال بعد هذا مصرا على عدم السماح لي بالخروج ؟

فنظر إليها "لوبيين" باسما وقال :

- ولكن العادة جرت بأن تقضي المرأة الليل مع عشيقها ثم تقتله في الصباح . فها أرجأت اغتيالي حتى الصباح ؟ فإنك إن فعلت وجدتني راضيا مبتهجا .

ودهشت المرأة لجسارته . واختلجت عيناها .. وقرأ "لوبيين" في هذه الاختلاجة معنى الإعجاب والتقدير .

وتكلمت الفتاة قائلة :

- للمرة الأخيرة ..

- هل أسمح لك بالانصراف ؟

- نعم .

- لا .

- إنني أسفة .

فقال "لوبيين" في هدوء :

- وأنا أيضا ..

- لا تحسبني هازلة .. إنني أعني ما أقول .. وإياك أن تعتقد أنني أهاب

إطلاق النار فإني على استعداد لمجابهة جميع الظروف والحوادث ..
والآن دعني أخرج . ساعد خمسة فعليك أن تتنحى عن الباب .

- ليلتك تعدين حتى العشرة . فإني أحب صوتك الجميل .. ولكن ما
دمت مصرة على الخروج فلا داعي لإرغامك على البقاء .

تنحى "لوبين" عن الباب وتراجع إلى الوراء مستنداً إلى الجدار . وفي
سرعة البرق امتدت يده اليسرى إلى زر النور الكهربائي فضغطته
وساد القاعة ظلام رهيب ! وفي اللحظة التالية وقد بدأت عيناه تالفان
الظلام وثب "لوبين" إلى ناحية الفتاة فأمسك برسغها ولوى ذراعها إلى
الخلف وانتزع المسدس من يدها وهو يقول :
- إني أسف يا صغيرتي .

وفي هذا النضال فقدت الفتاة توازنها فسقطت على الأريكة و"لوبين"
إلى جوارها .

شعر برأسها إلى جوار رأسه . وأحس أن شفتيها قريبتان من شفتيه .
ولم يشأ "لوبين" أن يدع هذه الفرصة تغفل منه فاطبق على فمها
يقبلها .

وأرادت الفتاة أن تنحيه عن صدرها .. فدفعته في أول مرة بقوة
شديدة .. وفي المرة الثانية كانت دفعته أقل عنفاً .. أما في المرة الثالثة
فلم تكن هناك دفعة على الإطلاق !
بل كانت هناك استجابة للقبلة وبعد لحظات نهض "لوبين" وأضاء
النور !

الفصل الثالث

استهلت الفتاة حديثها بقولها :

- إنني أدعى "جوان بارلو" .

وكانت جالسة على الأريكة مرتدية البرنس وأمامها قرح من القهوة الساخنة وبين أصبعيها سيجارة من نوع فاخر .

وقال "لوبين" :

- اسم ظريف !

- وما اسمك أنت ؟

- إن لي عشرات من الأسماء وأشهرها هو "لوبين" .. "أرسين لوبين" .
فنظرت إليه الفتاة في اهتمام جديد وقالت :

- لقد قرأت عنك كثيرا .. ولكني لم أكن أتصور أنني سألتقي بك يوماً .
فابتسم وقال :

- وهل أعجبتك ؟ . أعني هل نجحت في الامتحان ؟ .

فضحكت وقالت :

- اظن ذلك ، فاكثشافك سر الإبرة المجوفة يدل على عبقرية نادرة
وإماطتك اللثام عن سر الرقم "٨١٣" ما كان ليتمكن أن يوفق إليه سواك ،
وحوادثك الأخرى تدل كلها على ذكاء ونبوغ .. تضالك مع "شرلوك
هولمز" ، واتصالك بأعاونك وانت في داخل السجن ومصادماتك مع
المفتش "بيشو" والمفتش "جانيمار" ومكتب "بارنيت" وشركاء الرجل
الطيب الذي يقوم بالأبحاث البوليسية مجاناً لا ينبغي جزاء ولا شكورا .
فقاطعتها "لوبين" ضاحكا بقوله :

- إنك تعرفين عني يا "جوان" الشيء الكثير .

- هذا بالتأكيد لأنني .. لأنني أعمل بوليسا سريا .

ولبت "لوبين" جامد الوجه كأنما لم يسمع قولها .. ونفت الخان من
فمه . ووضع السيجارة في المنفضة . وبسط إليها يديه . وقد ضم
رسغيه أحدهما إلى الآخر وقال :

- ضعي السوار في معصمي .! لقد أبيت على "جانيمار" و"بيشو"

وهولز أن يقبضوا علي ولكني أقدم إليك نفسي طائعا مختارا مع اعتراف صريح بخطي بكل ما ارتكبت في حياتي من أعمال الخير .

وتفرست فيه الفتاة برهة ثم التمعت عيناها وقالت :

- إنني أعرف أنك صادق فيما تقول .. نعم لابد أن تكون أنت "أرسين لوبين" .. إن "أرسين لوبين" لا يمكن أن يكون إلا شخصا من طرازك ولكن لم لم تنبئني باسمك من أول الأمر ؟

- لأنك لم تسأليني .. فضلا عن أن التواضع من شيمتي .. فإني كما ترين شاب طيب شديد الحياء كالغبراء ؟
- اسمع !

فنظر إليها "لوبين" مستفسراً ، فقالت في لهجة تدل على الاهتمام :

- إنك سرقت .. اليس كذلك ؟

- هكذا يقولون !

- وعملت أعمالا عظيمة ؟

- إنني أرفع الفيل بيد واحدة .. والوي عنقه بيدي الأخرى .

- ألم تفكر يوماً في أن تسرق ملايين الجنيهات ؟

- بل فكرت دائما .. لقد خطر لي أن أسرق بنك إنجلترا ولكني عدلت عن الأمر لسهولته .

فنظرت إليه الفتاة في انفعال وقالت :

"لوبين" ! في هذه الأيام يوجد عمل يدر الملايين من الجنيهات المسروقة .. وقد نشأ هذا العمل منذ سنوات ولا يزال مستمرا حتى اليوم . ولست أقصد بذلك تهريب الشراب أو اختطاف الأطفال . إنه عمل يشمل الدنيا بأسرها . ويقع حيث تكون هناك المادة اللازمة لوقوعه . وعند الإقدام عليه لا تجد أمامك شرطيا واحدا يرفع في وجهك يدا .. إنها سرقات ترتكب حيث تستحيل الحماية والمقاومة . وليس في وسعي أن أذكر لك على وجه التأكيد كم من الملايين الجنيهات سرقت بهذه الطريقة .. ولكن حسبك أن تعلم أن ما سرقت قد يبلغ عشرات الملايين .

فقال "لوبين" في صوت رقيق :

- إنني أعلم هذا يا عزيزتي .. ولكنها سرقات مشروعة ترتكب في

حماية القانون وباسمه .. إنك تقصدين ضريبة الدخل بالتأكيد!

فلم تبال الفتاة بمزاحه وقالت مسترسلة :

- ألم تسمع عن الباخرة لوتين ؟

- التي غرقت ؟.. اليس كذلك ؟

- بلى .. غرقت في سنة ١٨٩٩ وفي مخازنها سبائك ذهبية قيمتها مليون جنيه . وقد بذلت محاولات كثيرة لانتشال شحنتها فافحقت لأنها انغرزت في الرمال إلى مسافة كبيرة . وهنا خطرت للشركة التي تتبعها الباخرة فكرة جديدة هي أن ينزلوا إلى قاع البحر مخروطا هائلا من الفولاذ يضعونه فوق حطام الباخرة بحيث تكون في داخله ثم يزيحون الرمال المحيطة بالباخرة والمكدسة فوقها ويخرجونها من فوهة المخروط .. فإذا ما خلصت الباخرة مما حولها من الرمال أمكن انتشالها بسهولة . والفكرة كما ترى سهلة وناجحة غير أن الشركة تلقت بضعة خطابات تهديدية تنذرها ألا تمضي في العمل ولكنها بالتأكيد لم تقم لهذا التهديد وزنا .

- وبعد ذلك ؟

- شرعت الشركة في عملها . ولكنها اضطرت إلى التوقف لأن المخروط الفولاذي نسف فجأة في سنة ١٩٠٨ . ولم يكن نفسه قضاء وقدر .

واعتدل "لويين" في جلسته فكانت حركته هذه دليلا على أنه بدأ يهتم بالامر .

- وهل هذا كل شيء ؟

- لا .. ففي سنة ١٨٩٠ غرقت الباخرة "مريدا" وعليها شحنة من الماس تزيد قيمتها على مليون جنيه .

وأخذت الفتاة تذكر لـ "لويين" أسماء البواخر التي غرقت وعليها شحنة ضخمة من الذهب أو الجواهر . ثم أردفت قائلة :

- وحدثت محاولات كثيرة لانتشال هذه البواخر فافحقت أغلبها ونجح بعضها . ولكن الشيء الغريب أن الغواصين كانوا إذا وصلوا إلى حطام الباخرة في قاع المحيط وجدوا مخازنها الفولاذية خاوية على عروشها وقد اختفى منها الذهب .. فما الذي تستنتجه من هذا ؟

فابتسم "لوبيين" وقال :

- إنك تعلمين اني محدود الذكاء . ولكن على قدر ذكائي أستطيع أن استنتج ان لصوص البحار يغتنمون فرصة غرق الباخرة المحملة بالذهب فيخفون سراعاً إلى مكان غرقها ويدلون الغواصين وينتشلون الذهب لحسابهم الخاص .

- تماماً .. فإذا ما جاءت الشركة صاحبة الباخرة الغريقة أو الشركة التي أمنت على الذهب لم تجد ما يستحق أن ينتشل .

ومضت الفتاة تسرد عليه أنباء بعض المحاولات التي نجحت من حيث الوصول إلى الباخرة في قاع المحيط وأخفقت من حيث عدم العثور على الذهب .

وقال "لوبيين" :

- وهل مهمتك بصفتك عاملين بوليساً سرياً أن تكتشفي هؤلاء اللصوص؟

- نعم .. إنني أعمل لحساب شركة انجريك الأمريكية المتعاقدة مع شركة لويدز الشهيرة ومع بضع شركات أخرى من شركات التأمين الكبيرة . إن الرقابة معدومة حيث تفرق البواخر .. ولكن الانتشال حق من حقوق شركات التأمين ما دامت قد دفعت الخسارة ، ولكنه حق لاقيمة له إذ إن شركات التأمين في خلال الخمسين سنة الماضية دفعت الملايين من الجنيهات على حين أن ما استردته من الأموال المنتشلة لا يكاد يتجاوز عشرات الألوف .

- إذن فالخسارة محقومة ؟

- بالتأكيد .. إلا إذا قضينا على تلك العصابة التي تنتشل الأموال سرّاً . إن لصوص البحار لا يستطيعون أن يقوموا بهذه العملية الضخمة متفرقين إذ إنها تستنفد جهداً ومالاً وذكاء .. فلا بد أن تضمهم عصابة منظمة يرأسها رجل قوي مفكر يستطيع بذكائه وأمواله أن يشتري الآلات اللازمة ويضع الخطط الناجحة .. ولهذا شرعنا نبحث عن هذه العصابة .

- أنت ؟

- كلا .. ولكن شركة انجريك .. إنها تسعى إلى هذه الغاية منذ

خمسة اعوام . وفي خلال هذه المطاردة قتل ثلاثة من رجالها ولكن
الاخير منهم كان قد استطاع ان يهتدي إلى اثر مهم فتبعناه .
- إلى هنا ؟

فحنت رأسها مؤمنة وقالت :

- ولكن واجهتنا أخيراً عقبة لابد من تخطيها . وذلك ان الاقتراب من
زعيم العصابة امر قد يشق على الرجال لا سيما ونحن نعمل بصفة غير
رسمية فليس لدينا سلطة قانونية تخولنا حق المهاجمة والتفتيش ..
ولكن هناك طريقة أخرى يمكن اللجوء إليها في مثل هذه الظروف ..
قلت لك إنه لابد ان تكون هناك عصابة ، وان يكون على رأس هذه
العصابة رجل .. ومن المؤكد أن لهذا الرجل قلباً !

وابتسم "لوبيين" وقال :

- فانتدبتك الشركة لأن لك قلباً أنت أيضاً ! فإذا ما التقى القلبان
سهلت المهمة وأميط اللثام عن سر العصابة . !

فحنت الفتاة رأسها وقالت :

- ولقد نجحت .. ولكن إلى حد ما .. أمكنني ان اتعرف بزعيم
العصابة . وقد دعاني إلى العشاء ورقصت معه في الكازينو .. ولكن
الشيء الذي لم أبلغه منه بعد هو أنه لم يدعني إلى زيارة يخته ولقد
خطر لي الليلة ان اجازف وأحاول الصعود إلى اليخت خلصة فكان ما
تعرف . لقد فاجاني في الظلام وامسك بي . ولولا اني أطلقت رصاصة
مرت إلى جانب أذنه لما تخطى عني ولما أمكنني ان أفلت منه واثب إلى
الماء هاربة !

فتمتم "لوبيين" يقول :

- يا لها من حكاية مذهشة !

الفصل الرابع

دنا "لوبين" من إحدى كوات اليخت وأرسل بصره إلى البحر برهة ثم ارتد إلى الفتاة قائلاً وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفثيه :

- أقصصت علي كل هذا بغية قُطع الوقت ؟ .

فاجابته وهي تنفرس في عينيه :

- حدثتك بهذا لأنك أنت من أنت !. إني مجردة من السلطة ولكني

قابلتك وأنا أعرف من أنت . لقد خطر لي أن الأمر قد يهكم بطريقة ما .

- يجوز .. أين تقيمين ؟ .

- أوتيل دي لامير .

- كنت أتمنى أن تقيمي الليلة في يختي على أن تعودني إلى فندقك في

الصباح . ولكنني أخشى أن يخالج الشك صديقك فيستريب في كلماتي

ويعود الليلة أو في الصباح الباكر ليستوثق من اني لم أخدعه وأنك لم

تصعدي إلى يختي . ولهذا ساذهب بك الآن إلى فندقك إلا إذا أردت أن

تجادلي حتى في هذا .

فضحكت وقالت :

- لن أجادل .. وإني شاكرة لك القهوة .. وكل شيء .

- ولكن هناك شيئين لم تذكريهما لي : أولهما اسم اليخت الذي أردت

أن تتسल्ली إليه .

- بلومبرج .

- واسم الرجل ذي الأنف المعقوف .

- "فون بوهيم" .

- حسناً .. إني أحب هذا الاسم وأحب أن يكون لي معه مواقف خالدة

يذكرها التاريخ .. لا أظن أن في نيتك أن تقضي سحابة نهارك غداً

محبوسة في غرفتك .. فإذا نزلت إلى الشاطئ قبل الغداء أمكنني أن

أراك هناك .

وأركبها "لوبين" قارباً صغيراً من القوارب الملحقة بيخته ومضى بها

إلى الشاطئ ثم ارتد وحده إلى اليخت يشق طريقه خلال الضباب الذي

كان لا يزال ناشراً جناحيه على الأرض .

ولما استيقظ في الصباح كان لا يزال هناك على السجادة اثر الماء الذي تقاطر من ثوبها عقب انتشارها من البحر .
وكانت تجلس هنا .. على هذا المقعد .. وشعرها الكستنائي متهدل على جبينها .. وفي عينيها نظرات الخبث والمكر .. وبين شففتيها سيجارة يتوهج طرفها كلما جذبت منها نفساً .. وشففتاها الحمراوان تغريان بالتقبيل .

وانتبه "لوبين" من خواطره على صوت خادمه وهو يقول :

- طاب صباحك يا سيدي .

فقال "لوبين" في صوت حالم :

- طاب صباحك يا حبيبتي .

فسعل "بيير" مرتين وقال :

- إنني "بيير" يا سيدي .

- هذا شيء يؤسف له .

ثم احتسى قرح عصير البرتقال الذي حمله إليه خادمه . ثم صعد إلى ظهر اليخت ومعه نظارة مكبرة أرسل بصره من خلالها إلى اليخت بلومبرج الذي حدثته عنه الفتاة فاستطاع أن يقرأ الاسم المنقوش على جداره الخارجي .. ولبت ينظر إليه طويلا وقد استغرقه التفكير .. إذن ففي هذا اليخت رجل يدعى "فون بوهيم" يتولى السطو على المراكب الغارقة فيسلب ما فيها من الذهب أو الجواهر . ورأى على ظهر تلك اليخت شيئا مرتفعا ضخما مغطى بالقماش فاخذ يسال نفسه عما يكون دون أن يدري لسؤاله جوابا .

ولما رجع "لوبين" إلى قاعة الاستقبال قال يخاطب خادمه :

- اسمع يا "بيير" .. الا يزال لديك ذلك المدفع الصغير الذي اشتريته

باسم مسدس ؟

- بلى يا سيدي .

- حسنا .. أرجوك أن تعده وتهيئه للاستعمال ... وضع شيئا من

الشحم على الرصاص فقد نضطر إلى الاستحمام في البحر والرصاص

معنا .

وساد صمت قصير قطعه "بيير" بقوله :

- أبدأت المتاعب ثانية ؟

- ليست هناك متاعب يا "بيير" ولكنها تسليية ظريفة .. وليس في وسعي أن اصف لك مبلغ جمالها لأنك رجل بلا قلب .. ولكن يكفي أن أقول لك إنها خرجت من البحر كما تخرج الحوريات : موفورة الجمال .. نضرة الصبا .. متهدلة الشعر .. ووقفت فوق هذه السجادة والماء يقطر من جسمها كأنها نافورة جميلة وقالت لي : "دعني أخرج" فقلت لها "كلا" .. نعم .. هذا هو ما حدث بالضبط يا "بيير" .. فصوبت إلي مسدسها ..

فقال "بيير" مقاطعا :

- استمر يا سيدي فالحكاية طريفة .

- قلت لك : إنها صوبت إلي مسدسها وهددتني بإطلاق النار إذا أنا اعترضت خروجها فقابلت تهديدها بالضحك هكذا : "ها .. ها .. ها" وكانت ضحكة رهيبة قاسية . ومددت يدي فاطفات النور على الفور ونزعت المسدس من يدها فاختل توازننا وسقطنا على الأريكة .. وبعد ذلك .

فقال "بيير" مقاطعا :

- لا ضرورة يا سيدي لأن تقص علي ما حدث بعد ذلك فإنني أعرفه .

- حقاً .. !

- ويمكنني أن أقول : إن قبالتها كانت لذيدة .. اليس كذلك يا سيدي ؟

فابتسم "لوبيـن" وقال :

- إنك أنكى مخلوق في الأرض .

- إنها ليست مسألة ذكاء يا سيدي .. ولكنها مسألة قوة ذاكرة وقياس

على الحوادث السابقة المماثلة !

وضحك "لوبيـن" ثم قال :

- قد يدعونا الأمر يا "بيير" إلى الخروج في نزهة طويلة مع رجل من أصدقائي الأعزاء يدعى "فون بوهيم" . فأرجوك أن تتخذ العدة لمثل هذه الرحلة بتزويدنا بكميات كبيرة من المؤونة والوقود .

ارتدى "لوبيـن" ثياب الاستحمام وقذف بنفسه إلى البحر وأخذ يسبح متجها إلى الشاطئ فصعد إليه وأخذ يتمشى على الشاطئ على مقربة

من الكازينو وهو يفكر فيما قصته عليه "جوان بارلو" .. أتراها صادقة فيما قالت ؟ أم كاذبة مضللة ؟ قد يكون ما روته له من نسج الخيال ووحيه . ومن المحتمل أن "فون بوهيم" بريء من التهمة التي الصقتها به ولكن مهما يكن من الأمر فهناك لغز ينبغي جلاؤه وإلا لما كان الفرار سباحة في جوف الظلام .. ولما كان إطلاق النار .. وما كانت تلك الأكذوبة التي ساقها إليها "فون بوهيم" حين زعم أن المسألة تتعلق برهان وأنهم يبحثون عن رجل ، على حين أن "لويين" كان يعرف أنهم يبحثون عن امرأة .

فهنالك لغز إذن .. وسواء أكان متعلقا بالسطو على البواخر الغارقة أم غير متعلق بها فالأمر يحتاج إلى العناية والاهتمام .
وعلى حين فجأة رأى "جوان بارلو" مقبلة عليه فتبادلا التحية وقال لها :

- أنمت جيدا .. ؟

- نعم .. وأنت ؟

- لقد رايت في أحلامي شيخ جدي وقد خرج من جهنم وأوما إلي بأصبعه قائلا : " إنك لست أهلا لهذه الفتاة وغير جدير بها " فاستيقظت من النوم وانفجرت أبكي !

فوضعت الفتاة يدها في رفق على ذراعه وقالت :

- ألا من رجاء لك ؟

- لا رجاء إلا إذا ابتسمت في وجهي .

فابتسمت "جوان" بنفس الابتسامة التي سحرته بالأمس فقال لها :

- الآن يمكنني أن أموت سعيدا .

وبعد صمت قصير قالت الفتاة :

- ليت شعري لماذا لم يضمك "أنجريك" إلى رجاله منذ سنوات ؟

- إنني يا عزيزتي لا أحب أن أشتغل لحساب أحد . فلو أنهم عرضوا

الأمر علي لاعتذرت . وفضلا عن هذا فإنني كما تعلمين لست بالرجل

الشريف .. إن مهمتك تقضي عليك باستردادان المسروقات لردها إلى

شركات التأمين ليس كذلك ؟

- بلى .

- وكذلك شاني انا ايضا . فاني استرد المسروقات مثلك ولكن مع فرق واحد وهو اني اردھا إلى نفسي لا إلى شركات التأمين .
- ولكن الشركات على استعداد لأن تمنحك عشرة في المائة من قيمة المسروقات المردودة .

فضحك وقال :

- وانا ايضا على استعداد لأن اعطي الشركات عشرة في المائة .
- ولكن المبلغ سيصبح جسيما لأن قيمة المسروقات لن تقل عن بضعة ملايين .

فتنهد في اسى قائلا :

- إن الامانة يا عزيزتي شيء يدعو إلى الضجر والسامة .. ولكنني على استعداد لأن أروض نفسي على الصبر والاحتمال ما دمت لن تضني علي بابتسامتك الحلوة .. فهذه الابتسامه عندي تساوي بضعة ملايين .

فابتسمت له وقالت :

- يظهر أننا بداننا حيث كان يجب أن ننتهي .
فامسك بيدها وهو يقول :
- ليس للحب نهاية أو بداية .
ثم ترك يدها على عجل قائلا :
- ولكن لندع هذا الآن فليس هذا اوانه .. حدثيني قليلا عن صاحبك "فون بوهيم" .

- لقد انباتك بالامس اني كنت اتمنى أن أزور يخته لأقف على سره ..
وكنت ضعيفة الرجاء في هذا ولكن يظهر اني غاليت كثيرا .
- ماذا تعنين ؟

- اعني اني تلقيت في هذا الصباح دعوة من "فون بوهيم" لاتناول معه العشاء الليلة على يخته بلومبرج .

الفصل الخامس

عندما سمع "لوبين" أن الفتاة دعيت إلى زيارة اليخت بان على وجهه الاهتمام .. وذكر أنه شاهد في هذا الصباح قارباً بخارياً مشدوداً إلى جانب اليخت عندما نزل للاستحمام ولم يكن موجوداً حين فحص "لوبين" اليخت بمنظاره للمرة الأولى .

والتفت إليها قائلاً :

- ولكنك لا تنوين أن تلبي هذه الدعوة ؟

- بل تلك هي الفرصة التي كنت أنتشدها .

- أعرف ذلك . ولكن ما حدث في الليلة الماضية كفيل بأن يحملك على

العدول .

- لا اظنهم عرفوا شخصيتي .. وأنا نفسي لم أر الرجل الذي هاجمني إذ فاجاني من الخلف وكان الظلام حالكا فاطلقت رصاصة من مسدسي أرغمته على تركي ووثبت إلى البحر .

- ولكنه عرف أنك امرأة .

- ليس هذا ضرورياً .. ألا تذكر أن "قون بوهيم" ذكر لك أنه يبحث عن

رجل ؟

- أكذوبة مقصودة .

- إنها إذن أكذوبة تدل على الغباوة .. ولن يجني من ورائها إلا إثارة الشكوك إذا كنت قد رأيت أن الشخص السابح امرأة ليس رجلاً وإذا فرض أنك لم تر هذا الشخص فما فائدة مثل هذه الكذبة ؟ لا شك أنه كان يعتقد حقيقة أن المتسلل إلى اليخت رجل . ومهما يكن من الأمر فإنك فيما أعرف تسعى إلى المتاعب والمغامرات .. اليس كذلك ؟

- تلك هي مهنتي . ولكن لنفرض أن كلامي لم يعجب "بوهيم" وأنه استغرب أن يجدنني واقفاً على ظهر اليخت في منتصف الساعة الرابعة بعد نصف الليل فثارت شكوكه ورجعت ثانية إلى يختي في حرص وحذر .. ومن المحتمل أنه لم يرك .. ومن المحتمل أنه لم يسمع صوتك .

ولكن من المؤكد أنه سيعرف أن في اليخت فتاة .

فابتسمت الفتاة وقالت :

- وهل من الضروري أن تكون هذه الفتاة هي أنا ؟

- ليس ضروريا بالتأكيد . ولكن "بوهيم" سيعتقد على الفور أنك أنت وسيذكر توددك إليه وكيف أنك أظهرت ولها بانفخ المعقوف الجميل وقد توقظ هذه الخواطر ريبته فيأمر أعوانه بتعقب خطواتك لكي يعرف من أسرارك ما يجهل .

فابتسمت "جوان بارلو" وقالت :

- اتحسبني أجهل كل هذا ؟ ألا تعلم أنني أستطيع أن أستعمل المسدس ؟

- كما تستعمله كل امرأة . إذ تضطرب يداها ولا تقوى على إطلاقه
انسيت أن ثلاثة من رجال "انجريك" فقدوا حياتهم في النضال ؟
فهزت كتفيها في غير اكتراث قائلة :

- على من ينضم إلى شركة "انجريك" أن يعلم أنه انضم إلى جيش
يقاثل وأن حياته على كف شيطان .. وأن عليه ألا يحجم عن شيء يدفعه
إليه الواجب مهما كانت العواقب . فهبك في موقفك فهل كنت تتردد في
تلبية الدعوة والذهاب إلى اليخت ؟
- ما كنت لأتردد بالتأكيد .. ولكنك فتاة .

- آه .. فتاة مسكينة لا قدرة لها على الدفاع عن نفسها ! كلا يا سيدي
إنني لست من هذا الطراز .

- هل لي أن أفهم من ذلك أنك قبلت الدعوة فعلا ؟

- نعم .

ثم ضحكت وقالت :

- و "بوهيم" فيما يلوح ليس قاسيا كما تتصور فقد أرسل إلي مع
رقعة الدعوة باقة جميلة من الأزهار .

- إنني أخشى أن تحببه .

- ولم لا ؟

- إنه جدير بأن يحب .. فأنفخ المعقوف الذي يشبه منقار النسر يثير
الإعجاب . ولكن أرجوك أن تروضي ضميرك على الجمود .. إنني
أتصورك الآن وأنت في سيارة "بوهيم" الفخمة والجواهر والماسات
تزين عنقك ومعصميك .. أتصورك وأنت في وسط هذا النعيم الشامل

وقد استيقظ ضميرك فجأة فوضعت فرنكا في يد شحاذ قذر لأنه نكرك
بـ"أرسين لوبين" المسكين .

فضحكت الفتاة وقالت :

- أرجوك الا تقول هذا فإنك تمرق قلبي . فمن أين لي ان اعلم انك
مهتم بي ؟

- يظهر اني نسيت ان اخبرك .. ولكن الم تقرلي في شحوب وجهي
وذبول وجنتي ما ينطوي عليه صدري ؟

- كلا . فقد تعلمت في المدرسة قراءة الكتب لا قراءة الوجوه .

- هذا نقص شنيع .. وسارفع عريضة إلى وزارة التعليم لأطلب تلافي
هذا النقص المعيب .

تحفزت الفتاة للانصراف وهي تقول :

- يجب ان انصرف الآن فقد يهبط "بوهيم" إلى الشاطئ ليزورني ..
وليس من الحكمة ان يرانا معا . ولكني أريد ان اعلم قبل ان انصرف إذا
كان عزمك قد صح على الانضمام إلي في هذه الحرب الدموية ؟..
- الم تفهمي بعد اني قبلت .

- لقد خيل هذا إلي ولكني اردت ان استوثق . ولو ان "انجريك" نفسه
كان في مكاني لفعل كما فعلت . وثق انك ستنال عمولة طيبة .

- واين العقد ؟..

فكان جوابها :

- لقد تم التعاقد بتلك القبلة التي طبعتها على شفتي بالأمس .
وانصرفت مسرعة .

لبث "لوبين" يراقبها ببصره وهي في طريقها إلى الكازينو حتى
توارت عن عينيه .

وسمع إلى جانبه صوت خادمه يخاطبه فقال له :

- إنك يا "بيير"

تعكر صفو اللحظات بوجهك القبيح !..

- أهذه هي السيدة التي حدثتني عنها ؟..

- إنها ليست سيدة .. ولكنها ملاك هبط من السماء ليهديني إلى
الخير وليثنيني عن طريق الخطايا .

ثم سار وهو يقول :

- هيا بنا يا "بيير" إلى اليخت فإن الوقت ضيق .

ولما وصل إلى يخته ارتدى على مقعد طويل وغرق في التفكير .

وبعد ساعة أقبل عليه خادمه "بيير" فراه على مثل جلسته فقال له :

- فيم تفكر يا سيدي ؟..

- افكر فيها أيها الغبي .

- فيها ؟.. في رحلتنا القادمة ؟..

- بل في الفتاة التي سلبتني عقلي يا أغبي الأغبياء ..! لقد قبلتها

فكانت هذه القبلة هي مفتاح الباب الذي سيقودني إلى طريق التقوى

والصلاح .. ألم تتصور "أرسين لوبين" يوما رجلا شريفا ؟..

فسعل "بيير" وقال :

- الحق إنني .. إنني .

- تكلم .

- إنني لم أتصورك قط رجلاً شريفاً .

- أعلم إذن أنك مخطيء في اعتقادك . فـ "أرسين لوبين" الذي أمامك

الآن هو أشرف رجل على وجه الأرض .. تصور أنه سيغترف الملايين

بيديه فلا يزال منها فرنكا واحدا وإنما سيعطيها لسواه .. وكل هذا من

أجل امرأة .

- فهز "بيير" رأسه وقال في صوت خافت :

- سيدي .. هل أنت في حاجة إلى أسبرين أو كمادات من الثلج ؟..

- لا يا "بيير" .. إنني لست مريضا .. ولكني أحبها .

وتنبه "لوبين" على صوت قارب بخاري يدنو من يخته متجها إلى

الشاطئ فلما صار في مرمى النظر تبين على ظهره "فون بوهيم" ومعه

رجل بدين ذو لحية سرى إليها الشيب وعلى رأسه قبعة من الخوص من

طراز بنما .

وقال خادمه "بيير" يسأله :

- هل أعد الغداء يا سيدي . فقد أشرفت الساعة على الواحدة ..؟

فكان جوابه ان نهض واقفا وهو يقول :

- لا اريد غداء فاني ذاهب إلى الشاطئ ؟

- إلى الشاطئ ؟.. ولكنك حضرت من هناك الآن توا ؟..

فابتسم "لوبين" وقال :

- ولو يا صديقي !..

الفصل السادس

استقل "لوبين" قاربه البخاري واتجه به إلى الشاطئ . ولكنه لم يسلك نفس الطريق الذي اتخذه "بوهيم" وإنما سار في الناحية المضادة بسرعة كبيرة فلما دنا من الشاطئ عكس اتجاهه ومشى إلى الخليج في نفس الوقت الذي بلغه فيه "بوهيم" . ولكنه كان حريصاً حذراً في مناوراتهِ فتعمد أن يجعل بينه وبين قارب "بوهيم" باخرة ضخمة كانت تهتم بالرسو في الميناء في هذه اللحظة .

اندمج "لوبين" في غمار النازلين من الباخرة وجعل يرقب خلصة "بوهيم" وصاحبه . ولم يكن عسيراً عليه أن يتبينهما إذ كانت قبعته تخفي وجهه حين أن تلك التي يلبسها الرجل البدين علماً بارزاً تجعله لا يغيب عن النظر .

ورأهما "لوبين" يتجهان إلى الكازينو فتبعهما بعد بضع دقائق وأخذ يتجول في حديقة الكازينو بحثاً عن مائدة خالية . وقادته قدماه بالتأكيد للمائدة على مقربة من المائدة التي جلس إليها "فون بوهيم" وصاحبه . وفي اللحظة التي رفع فيها "بوهيم" رأسه تعمد "لوبين" أن ينظر إليه متظاهراً بأن الأمر جاء عفواً .. ثم ظهرت الدهشة على وجهه .. دهشة المعرفة والذكرى .

ولم يكن الموقف يحتمل من "فون بوهيم" إلا أن يحيي صاحبه وهو على قيد خطوة واحدة منه فارتسم على وجهه الجامد ابتسامة آلية وقال :

- أرجو ألا أكون قد أزعجتك ليلة أمس .

فابتسم "لوبين" وقال :

- كلا مطلقاً .. إذ الواقع أنني لم أغادر مائدة القمار في الكازينو إلا في ساعة متأخرة من الليل .. فعندما رايتني كنت عائداً توأ وقد وقفت استنشيق الهواء النقي .

وأرسل "لوبين" بصره إلى الرجل ذي اللحية البيضاء بطريقة حملت "بوهيم" على أن يقوم بواجب التعارف فقال :

- هذا هو الأستاذ "ماركو" .. وأنا ادعى "بوهيم" ، ففضل بالجلوس

يا مسيو .. يا مسيو .

فقال "لوبين" على الفور ودون أن تختلج في وجهه عضلة واحدة:
- "كوشيه" .

جلس "لوبين" على الفور إذ كانت هذه هي الدعوة التي ينشدها .. وقدم
"بوهيم" إليه سيجارة وهو يقول :

- يلوح لي أنك مولع بالمقامرة يا مسيو "كوشيه" ؟
فهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- إنني أحب أن أمضي الوقت بآية طريقة كانت . وهذا هو كل شيء .
أما القمار في ذاته فلا يطيب لي . فضلا عن أنني لا لعب إلا بمبلغ قليل .
فقال "بوهيم" في صوت أجوف رنان :

- عين الحكمة .. إن الذين يتعرضون للخسائر والتكبات إنما هم
أولئك الذين يبالغون في اللعب ويتجاوزون الحدود .. إن تجاوز الحدود
خطر .

ونفث "لوبين" من فمه حلقة كبيرة من الدخان وأخذ يسال نفسه عما
إذا كان "بوهيم" يقصد القمار فقط بجملة أم أنه يشير من طرف خفي
إلى كل من يتجاوزون الحدود في أي شيء فيتدخلون فيما لا يعنيهم !
فابتسم "لوبين" وقال :

- لا خطر هناك علي حتى ولو تجاوزت الحدود .. فإن رصيدي في
البنك ضخم لا ينفد .

وقد القى "لوبين" هذه الجملة بطريقة تدل على عدم الاكتراث ،
فد "بوهيم" أن يفهم منها ما يشاء . فإذا كان قد رمى بجملة إلى معنى
خفي فقد أجابه "لوبين" بنفس الطريقة . أما إذا كان بريء القصد فما قد
جاءه جواب بريء .

وقال "فون بوهيم" فجأة في صوته الهادئ وسحنته الجامدة :

- أنتنوي أن تقيم طويلا في هذه الناحية ؟

- لا أدري فإنني لم أضع خطة معينة بعد .. فقد اظل في مكاني أياماً
طويلة . وقد أرحل فجأة وعلى غير انتظار . إن الأمر يتوقف على
سامتي من البقاء .

- كثيرون يعتقدون أن الإقامة هنا مثيرة للضجر .

فحنى "لوبيين" رأسه وقال :

- وإنني من هذا الرأي .. حتى الآن على الأقل .

أخذ "بوهيم" ينقر بأصبعه على المائدة وقد أرسل بصره في أنحاء الحديقة يراقب الغادين والرائحين .. وانصرف الجالسون إلى المائدة المجاورة وحل سواهم مكانهم . على أنهم ما كادوا يستوون على مقاعدهم حتى أخذوا يتهامسون في صوت خافت وهم ينظرون إلى الرجل الملتحي الذي يجالس "قون بوهيم" . وسمع "لوبيين" أحدهم يقول :
- إنه هو بلا شك . لقد قام منذ عهد قريب بتجربة ناجحة في الغوص . وفهم "لوبيين" عند هذا كل شيء .. ذكر أن هذا الرجل الملتحي هو الأستاذ "ماركو" الشهير الذي اخترع جهازاً يمكن به الغوص إلى عمق بعيد في قاع المحيط . ولقد نشرت المجلة الجغرافية منذ بضعة أشهر بحثاً مستفيضاً في هذا الشأن دللت فيه على أن جهاز الأستاذ "ماركو" سيحدث ثورة علمية خطيرة إذ سيمكن العلماء من دراسة أعماق البحار عن كثب ..

تلك الأعماق التي كان الوصول إليها مستحيلاً بواسطة الأجهزة الأخرى التي لم تكن تحتل ضغط المياه على عكس الغرفة الفولانية التي اخترعها الأستاذ "ماركو" المزودة بالواح من الزجاج غير قابلة للكسر إذ أمكن بواسطتها الوصول إلى عمق خمسة آلاف قدم .
والآن ها هو ذا العلامة "ماركو" في ضيافة "بوهيم" .. فليس في الأمر بعد هذا من خفاء .

ونظر "لوبيين" إلى الأستاذ "ماركو" في فضول واهتمام فقال "بوهيم" :

- لا شك أنك سمعت عن الأستاذ "ماركو" ؟

- بالتأكيد .. ولقد تذكرت الآن كل ما أعلمه عنه إذ سمعت جملة من أحد الجالسين إلى المائدة المجاورة نبهت ذهني من ركودة .. إن تجاربك يا أستاذ تستحق الإعجاب العظيم .
فهو الأستاذ كتفيه وقال :

- إنها تجارب مسلية وإن كانت مخيفة .. ومتعبة . فدرجة البرودة على عمق خمسة آلاف قدم لا تكاد تطاق لشدة برودتها إذ إنها فوق الصفر بدرجتين أو ثلاث . فضلاً عن أن ضغط الماء يحطم أشد الأجهزة

صلابة ومتانة . وقد شرعت الآن في تزويد الغرفة بجهاز كهربائي
للتدفئة لاتقاء البرد في المرات القادمة .

- اتنوي إذن أن تهبط إلى الأعماق مرة أخرى ؟
- نعم . فإن الرحلة الاولى كانت بقصد التجربة ليس إلا .. اما في هذه
المرة فارجو أن اصل إلى ضعف العمق الذي بلغته في المرة السابقة .
- وما الغرض من هذه التجارب ؟

- دراسة التيارات العميقة والأسماك التي تعيش هناك .. ومن
المحتمل أن يجد المرء هناك أنواعا عجيبة من الأسماك الهائلة الضخمة .
وما يدريك أننا قد نهتدي إلى شعبان البحر الذي ورد ذكره في الخرافات
والأساطير .

فقال "لوبيين" في شرود :

- الحق أن أعماق البحار حافلة بالاعاجيب والغرائب .

والتفت الأستاذ "ماركو" إلى فون بوهيم قائلا :

- ويجب أن أشكر مسيو "بوهيم" .. فلولا ما قدم إلي من مساعدات
مالية لما امكنني أن اتهيا للقيام بالتجربة الثانية فقد نفدت جميع
مواردي بسبب تجربتي الاولى .. ولكنني أرجو الآن أن استمر في
تجاربي بفضل هذه المعونة النفيسة .

وأخذ الأستاذ "ماركو" يفيض في شرح النتائج العلمية التي قد تسفر
عنها هذه التجربة واختتم كلامه بقوله :

- فهذه التجربة قد تؤدي إلى إثبات نظرية "فوجنير" التي ذكر فيها
أن الأرض كانت مغمورة في الماضي بالماء وأنه سيأتي يوم تجف فيه
البحار .

فهن "لوبيين" رأسه قائلا :

- فهمت .

وإذ ذاك اقترب منهم رجل فرنسي يحمل آلة للتصوير وقال :

- إنني أيها السادة مندوب الاتحاد الفرنسي للصحف . فهل
تسمحون لي بالتقاط صورتكم ؟

ونظر إلى الأستاذ "ماركو" يطلب منه الجواب فحنى هذا رأسه موافقا
والتقط المصور الصورة وقد جمعت بين "ماركو" وصاحبيه .

وعلى اثر هذا نهض "بوهيم" واقفا وهو يقول :

- اظن انه لابد من انصرافنا إذ إننا مرتبطان بموعد آخر ... ولكن إذا كانت هذه الأبحاث تروك فإني أكون سعيدا إذا رافقتنا في رحلتنا للقيام بالتجربة القادمة .. التي يراود منها التحقق من مقانة جهاز جديد يراود استعماله في الأعماق المتوسطة .

فاجابه "لويين" في بطة :

- إنني أكون سعيدا بقبول هذه الدعوة .

- ولكننا لن نجري التجربة في هذا المكان فالمياه هنا ضحلة قريبة الغور .. ولكننا سنجرّبها في بحر هيرد ديب شمال جزيرة الدرني ... فالعمق هناك يبلغ نحو ستمائة قدم وهو يكفي لتحقيق غرضنا . وسنسافر في صباح الغد إلى ميناء سانت بيتر فهل تحب أن ترافقنا ؟ فقال "لويين" في شيء من الارتباك :

- إن مثل هذه الدعوة لا توجه إلى الإنسان دائما .. واطن ان من الحماسة ان ارفضها .

- إذن سنلتقي بك غدا .

انصرف الرجلان ولبث "لويين" يتابعهما ببصره وهو يسأل نفسه عن سر هذه الدعوة .. ترى هل ارتاب "قون بوهيم" في امره ؟.. هل خطر له أن له علاقة بالفتاة ؟.. أراه أحد من أعوانه في رفقتها عندما كانا على الشاطئ ؟.

هز "لويين" كتفيه في غير احتفال وقال في نفسه :

- مهما يكن من امر فهي دعوة من الحماسة أن ترفض حتى ولو كانت دعوة إلى الموت !..

الفصل السابع

لم يكد الرجلان ينصرفان حتى اقبل احد باعة الصحف ينادي على ما يحمل فابتاع "لوبيين" صحيفة "الطان" وقرأ فيها نبا أكد شكوكه إذ كان سلسلة من تلك الحوادث المتعاقبة التي توحى إلى الذهن بأن هناك شيئاً يجري في الخفاء . أما فحوى الخبر فهو أن باخرة ستغادر ميناء فالموث في أوائل شهر اغسطس لكي تتولى البحث في المياه الإنجليزية عن كنز يمكن أن يعد اكبر كنز عرفه التاريخ . وهذه الباخرة تسمى "روستورر" وهي من بواخر شركة جلاسجو لانتشال السفن الغارقة . ومهمتها أن تنتشل الباخرة شالفونت أو تنتشل بعبارة أخرى ما كانت تحمل من ذهب وجواهر قيمتها خمسة ملايين جنيه .

إذن فقون بوهيم إنما ينشد هذه الباخرة بالذات .. وإلا فما الذي يدعوه إلى أن يذهب بالاستاذ "ماركو" وجهازه إلى نفس البحر الذي غرقت فيه الباخرة شالفونت وقد كان في وسعه أن يذهب به إلى بحر ماديرا مثلاً فهو اقرب وتتوافر فيه جميع الشروط اللازمة لإجراء التجربة .

لقد غرقت شالفونت منذ عهد قريب فرأت شركة الإنقاذ أن تعجل بانتشال الشحنة إذ علمتها التجارب السابقة أن التباطؤ يمكن لصوص البحر من السطو على الباخرة قبل أن تخف شركات الإنقاذ لانتشالها . ويظهر أن "فون بوهيم" قابل هذه السرعة بسرعة أعظم فصيح عزمه على القيام بعمله قبل حلول شهر اغسطس .

وتناول "لوبيين" غداءه في المطعم فلما فرغ منه ذهب إلى كاتب الفندق وسأله عن التليفون فأنابه أنه في نهاية الممشى فقال "لوبيين" :

- كلا .. إنني أريد أن اتصل بلندن . فدعني استأجر إحدى الغرف وصل تليفونها بالتليفون العمومي وسادفع الأجر بالتاكيد .

وبعد عشر دقائق كان "لوبيين" جالساً في إحدى غرف الفندق وقد أوصد الباب على نفسه . ولما تم الاتصال سمع من الطرف الآخر صوت صديقه "كولمان" .. وبعد تبادل التحية قال "لوبيين" :

- اسمع يا "كولمان" .. ألم تقل لي إن لك أسرة محترمة ؟..
- ولا تزال محترمة فإنني الفرد الوحيد منها الذي يصادقك .
فضحك "لوبين" وقال :

- الأحدهم اتصال بشركة لويبرز للتأمين ؟..
- إن لي ابن عم يعمل هناك .

- هذا بديع .. اذهب إذن إلى ابن عمك وذكره بماضي الأسرة العتيبة
واطلب منه معلومات تهمني عن الباخرة شلفونت التي غرقت في شهر
مارس على مقربة من جزيرة الدرني .. أريد أن أعرف - بالضبط -
المكان الذي غرقت فيه . فلدى الشركة بلا ريب بيانات دقيقة تتعلق بهذا
الشان . ثم بين نقطة الغرق على خريطة ترسلها إلي الليلة باسم
"كوشيه" على أن تحفظ بشباك بريد سانت بيتر .. أفهمت ؟

- تماما .. ولكن خبرني .. امعنى ذلك أنك عدت إلى القتال ؟..

- يجوز .. وهناك مسألة أخرى .. اتظن أن في وسعك أن تتباع لأجلي
بذلة من النوع الذي يرتديه الغواصون عندما يخطر لهم أن يتنزهوا في
قاع البحر .. أريد بذلة من أحدث الأنواع المضمونة . - ولكن ما غرضك
من ذلك ؟..

- لا غرض لي .. كل ما هنالك أنني بدأت أهتم بالأبحاث العلمية في
قاع البحر .. فإذا اشتريت هذه البذلة الآن وأرسلتها على الفور كان
ممكنا أن تصلني .. فقاطعه "كولمان" بقوله :

- ولم لا أتيك بها بنفسني ..

فتردد "لوبين" برهة ثم قال :

- فليكن .. فقد يكون في وجودك منفعة كبيرة لي . فيمكنك إذن أن
تحضر جهازين للغوص بدلا من جهاز واحد .

وذكر "لوبين" عند هذا أن "فون بوهيم" لا يمكن أن يقدم على هذا العمل
إلا إذا كان إلى جانبه نفر غير قليل من الأعوان .. وليس من الحكمة أن
يواجههم "لوبين" بمفرده فقال يخاطب "كولمان" :

- ولا بأس من أن تحضر معك نفرا من الأصدقاء الذين يحبون المتاعب
وانزلوا جميعا في فندق رويال .. ولكن إياكم أن تتظاهروا بمعرفتي ..
فلا توجهوا إلي الحديث إلا إذا بادأكم به أنا .. فهمت ؟

- فهمت .

إلى اللقاء إذن .

وعندما غادر "لوبيين" الغرفة وهبط إلى بهو الفندق وقع نظره على رجل يرتدي بذلة رمادية وحذاء أصفر اللون وكرافتة حمراء وقبعة بيضاء فلفتت هذه المجموعة العجيبة من الألوان بصره . ثم سرى الشك إلى نفسه بغتة إذ ذكر أنه رأى هذه المجموعة ذاتها في قاعة الطعام في الكازينو وهو جالس يتناول غداءه . وكان صاحبها جالسا إلى مائدة مجاورة .

دفع "لوبيين" اجر الحديث التليفوني .. ورمى ببصره خلسة إلى الرجل فراه ينظر إليه فوق في روعه أنه جاسوس من جواسيس "قون بوهيم" كلف بان يتعقب خطواته . وزاده يقينا أنه رأى نفس الرجل يقتفي أثره في الطريق .. فهل بدا "بوهيم" يرتاب فيه ؟

من المستبعد جداً أن يكون هذا الجاسوس قد سمع شيئاً من الحديث التليفوني الذي دار بين "لوبيين" وصاحبه "كولمان" .. ولكن من المؤكد أنه عرف أن "لوبيين" اتصل تليفونيا بإنجلترا . ومثل هذا الاتصال كفيل بان يثير الشكوك .

استقل "لوبيين" إحدى سيارات التاكسي وأمر السائق بالإسراع ثم نظر من خلال النافذة الخلفية فرأى سيارة أخرى في أثره وقد جلس في داخلها الجاسوس المغرم بالألوان المتنافرة .

وبلغت سيارة "لوبيين" منعطفاً حاداً فما كادت تدور حوله حتى همس "لوبيين" في أذن السائق :

- انعطف إلى اليسار ثم اتخذ الناحية اليمنى .

فوقعت بذلك ثلاث حركات متناقضة جعلت سيارة "لوبيين" تعود في نفس الاتجاه الذي جاءت منه ولكن في شارع محاذ للشارع الذي كانت سيارة الجاسوس لا تزال في أوله .. وبذلك استطاع "لوبيين" أن يفلت من مطاردته .

ولكنه لم يمض إلى الميناء . وإنما أوقف السيارة ونقد السائق أجره ودخل حانوت بائع سجاائر واتصل تليفونيا بـ "جوان بارلو" فالغاها في غرفتها فقال لها :

- ساحضر فوراً لزيارتك .. كم رقم غرفتك ؟

- ٢٨ ولكن ..

فقاطعها بقوله :

- كوني مطمئنة .. فسأصعد إلى غرفتك توا كاني صاحبها دون أن
اسأل أحداً عنك .

الفصل الثامن

عندما دخل "لوبيين" على الفتاة وجد أنها لم تكن وحدها .. كان في رفقتها رجل متجههم الوجه وقح النظرات بدين الجسم اصلع الراس وفي سحنته ما يدل على الصلابة والشجاعة .

وقال "لوبيين" معذرا :

- اخشى أن اكون متطفلا .

فزجر الرجل الاصلع وقال :

- "جوان" .. كيف عرفت أن هذا الرجل موضع للثقة ؟

فاجابته الفتاة في هدوء :

- ألا ترى أن له ابتسامة ظريفة ؟

وتمتم "لوبيين" قائلا :

- إن ابتسامتي يا رجل هي التي تجعلني موضعاً للثقة .. ولكن من

هو هذا الاصلع يا "جوان" ؟

- إنه يدعى "جون مندرسن" .

- من رجال "انجربيك" ؟

- نعم .

- إنني ادعى "لوبيين" .

ومد "لوبيين" يده إلى الرجل فصافحه هذا في برود وهو مقطب

الجبين . وقال "جون مندرسن" فجأة :

- اسمع يا "لوبيين" !.. إنني أكره من يتدخلون فيما لا يعنيتهم .

- وأنا أيضاً .

ثم أردف على الفور قائلا :

- متى حضرت ؟

- وصلت شربورج في هذا الصباح .

- وهل سألت كاتب الفندق عن مس "جوان بارلو" ؟

- نعم .

- ألم تر بين الحاضرين شخصا يرهف السمع إلى سؤالك ؟

- إنني لم أنظر إليهم .

فقال "لويين" يلومه :

- كان ينبغي أن تجشم نفسك هذه المشقة .. عندما حضرت أنا الآن لم أسأل عن مس "بارلو" وإنما ارتقيت السلم مباشرة . وقد لحت شخصا منزويا في أحد الأركان وهو يرقب الداخلين ومكتوب على وجهه بالخط العريض أنه جاسوس ، ولكنه لم يرني إذ أخفيت وجهي خلف صحيفة منشورة . ولكن من المؤكد أنه رآك أنت إذ إن موقفه عند منصة الكاتب يسمح له بأن يسمع كل سؤال يوجه . وهو ما وقف هناك إلا ليرى كل من يسأل عن مس "بارلو" .

وساد صمت قصير قطعته "جوان بارلو" بقولها :

- أكنت تعرف أن "مدرسن" موجود هنا ؟

- لا .. ولكنني أدركت أن هناك جاسوسا يتعقب خطواتي . وقد استطعت أن اضله وأتملص منه .. غير أنني فهمت من ذلك أن الشكوك بدأت تسري إلى قلب "فون بوهيم" . فاردت أن أحضر لأحذر . وممما يؤسف له أنهم راوا "مدرسن" وهو يسأل عنك . وماداموا قد عرفوا أن له صلة بك فسيكون هدفا لهم .

فقال "مدرسن" في خشونة :

- إنني أعرف كيف أدافع عن نفسي .. ولست في حاجة إلى مربية

لتعلمني ما يجب وما لا يجب .

فقال "لويين" في غير مبالاة :

- إنني أعرف ذلك فانت الآن طفل كبير . ولكن أمرك لا يهمني في شيء .

إذ إنني في الواقع لا أهتم إلا بـ "جوان بارلو" . فإذا عرف "فون بوهيم" أن لها علاقة برحل مثلك من رجال "أنجريك" كان في ذلك خطر محقق عليها .

فقطب "مدرسن" جبينه وقال :

- وإلى أي شيء ترمي ؟

- أريد أن أقول إنني وحدي الذي سأتولى هذه اللعبة . أما أنت و"جوان بارلو" فعليكما أن تكفا أيديكما .. إن "جوان" لا تزال بعيدة عن الشبهات في نظر "بوهيم" وإن كانت الشكوك قد بدأت تحوم حولها أما أنت فأمرك معروف وبقاؤك يدعم الشكوك ضد "جوان" .. فأرحل على

الفور .

- ماذا تقول ؟ .

- اقول لك ارحل على الفور .. ولتشيعك "جوان" حتى باب الفندق ولتتظاهر امام الناس اجمعين بانك صديق لابيها .. وانك في مرورك بدينار رايت ان تزورها عفواً . فإذا سمع الجواسيس هذه الحكاية نقلوها إلى "فون بوهيم" فصدقها ما دام قد راك ترحل .. وانتفى ما في صدره من الريب ضد الفتاة على الرغم من علمه انك من رجال "انجربيك" .. وبهذه المناسبة اذكر لكما ان "بوهيم" سيذهب غداً إلى ميناء سانت بيتر فقالت "جوان" تساله :

- وكيف عرفت هذا ؟ .

- إنه هو الذي انباني بنفسه .. بل لقد تفضل فدعاني إلى مرافقته في هذه الرحلة .

وساد صمت قصير قطعه "مدرس" بقوله :

- ما يدريك يا "جوان" ان "فون بوهيم" جاسوسا . وان هذا الجاسوس هو صاحبك "لوبيين" ؟ . إنني أرى "لوبيين" شديد الاهتمام بإقصائي وإغرائي على السفر . فمن المحتمل جداً أنه يريد بذلك ان يخلو له الجو ليختطفك ويذهب بك إلى "بوهيم" . فضحك "لوبيين" طويلاً وقال :

- وهل تعتقد يا رجل أن وجودك يمكن أن يحول دوني أو دون "بوهيم" واختطاف الفتاة إذا نحن أردنا ؟ .

- ماذا تقصد ؟ .

- اقصد أن وجودك وغيابك سواء .

وأخذت "جوان" بارلو تنقل بصرها بين الرجلين وقد أدركت ان الموقف بينهما قد تخرج فرات ان تتدخل بقولها :

- عليك أن ترحل يا "مدرس" .

فقرض الرجل على أسنانه وقال في غضب :

- اتحسبن اني جئت لأتلقى أمراً من هذا الدعي ؟

- كلا يا "مدرس" .. ولكنك تتلقى أوامرك مني أنا .. إن "لوبيين" على حق فيما يقول . فوجودك يفسد الحيلة التي أدبرها إذ المعروف انك من

رجال "انجريك" .

فصاح "مدرسن" في حلق قائلا :

- محال ان ارحل ..!

- بل يجب ان ترحل .. وعلى الفور !. إنني انا التي اتولى قيادة الدفة

فعلى الجميع ان يتلقوا اوامرهم مني !

- يظهر أنك جننت !.

فلم تقل الفتاة شيئا وإنما تناولت سيجارة اشعلتها وجعلت تدخن

في هدوء وهي تحدج بنظراتها .

ونهمض "مدرسن" فجأة واقفا وهو يقول :

- سارحل إذن مادمت تريدون ذلك .. ولكن سيأتي يوم تتمنين فيه لو

اني بقيت .

ثم تحول إلى "لوبين" قائلا :

- اما أنت فاعلم أنه لو أصاب "جوان" سوء بسبب عدم وجودي..

فقاطعه "لوبين" بقوله :

ساخطرك بالتأكيد لتحضر الجنازة حتى تضع باقة على القبر ..!

ومشى "لوبين" إلى النافذة فاطل منها ثم قال :

- يمكنك ان تشيعي "مدرسن" حتى باب الفندق .. اما انا فساخرج

من النافذة بواسطة سلم الحريق . إذ ليس من الحكمة ان اجازف

باجتياز البهو مرة أخرى .. وبالمناسبة .. اما زلت مصرة على تلبية

دعوة "بوهيم" إلى تناول العشاء على يخته الليلة ؟

- بكل تأكيد .

- اذهبي إذن تحفك السلامة .

ولما رجع "لوبين" إلى يخته نام قليلا .. ولما استيقظ كان المساء قد

ارخى سدوله فجلس على ظهر اليخت يطالع كتابا .

وبعد فترة من الوقت مر على مقربة منه قارب بخاري متجها إلى

اليخت بلومبرج .. ولمح "جوان بارلو" على ظهره فعرف أنها ذاهبة تلبية

للدعوة إلى العشاء .

لبث "لوبين" يطالع كتابه .. ولكن خواطره شردت إلى "جوان بارلو" .

جعل يتصور لقاءهما الأول .. وابتسامتها العذبة .. ونظراتها

الفتانة.. وخصلات شعرها المتهدلة .

وظل غارقا في هذه الاحلام ساعة او بعض ساعة .

وعلى حين فجأة ذكر أن "جوان بارلو" موجودة الآن في يخت "بوهيم" .. فهل هناك يا ترى خطر يتهدهدها ؟ إن "بوهيم" يستريح في أمرها .. ومن المحتمل أن الشكوك استحالت يقيناً .. ومن المحتمل أن تكون "جوان" الآن مضطهدة .. او معذبة .. او في حاجة إلى من يخف إلى نجدتها !

ووثب "لويين" واقفا فجأة واسرع إلى غرفته فخلع ثيابه وارتنى ثوب الاستحمام وعلق في منطقتة كيسا من الجلد الذي لا ينفذ منه الماء وضع في داخله مسدسه وقد حشاه برصاص مدهون بالشحم حتى لا يفسد إذا افترض وابتل بالماء .

وبعد لحظات كان يسبح في سكون متجها إلى اليخت بلوميرج وهو حريص ألا يخرج زراعيه من الماء .. وعلى أن يجعل ضرباته خفيفة لا يسمع لها صوت حتى لا يلتفت إليه أنظار من في اليخت وعلى حين فجأة ذكر "لويين" ذلك المصور الذي جاء مندوبا عن الصحافة الفرنسية فالتقط صورة الأستاذ "ماركو" وصاحبيه "بوهيم" و "لويين" .

أصبح أن هذا المصور من رجال الصحافة ؟ أم أنه من رجال "فون بوهيم" تذرع بهذا الزعم لكي يلتقط صورة "أرسين لويين" . ومن السهل بعد ذلك أن تعرض الصورة على نفر من رجال العصابات فيعرفون فيها على الفور اللص الشهير .

نعم .. من المحتمل أن يكون "فون بوهيم" قد لجأ إلى هذه الحيلة ليتأكد من شخصية جليسه الذي زعم أنه يدعى مسيو "كوشيه" .

ابتسم "لويين" وقال في نفسه :

- لو صح هذا التخمين لاستقبلني "بوهيم" في الغد عندما البى دعوته استقبالا رائعا ! ولكني مع هذا لن أتخلف عن الذهاب !
وظل يسبح في طريقه إلى اليخت .

الفصل التاسع

كانت السماء ملبدة بالغيوم تحجب القمر فاشتمل البحر ظلمة حالكة وأخذ "لوبيين" يشق طريقه إلى اليخت سابحا بطريقة لا تستلزم منه حركات عنيفة تلفت النظر . إذ كان يحرك ذراعيه تحت سطح الماء في خفة ورشاقة دون أن تضطرب من الماء حوله قطرة واحدة حتى ليخيل لمن يراه أنه قطعة طافية من الخشب يدفعها التيار .

كان السكون هو عدته ورأس ماله . وبلغ من حرصه عليه أنه لم ينبه رجلا في قارب من النوع الرياضي المستطيل كان ينزلق على الماء بسرعة متجها إلى ناحيته . واكتفى بأن غاص بضعة أمتار ليتفادى بذلك ضربة المجدف التي كادت تصيب رأسه . ولما برز ثانية إلى السطح كان القارب قد ابتعد في طريقه إلى الكازينو .

ولما اقترب "لوبيين" من اليخت غاص ثانية في الماء وأخذ يسبح تحت سطحه ولم يبرز إلا حين بلغ رفاص اليخت فتوارى في دواليبه وأخرج رأسه مطمئنا إلى أنه لن يرى وهو في هذا الوضع .

مرت ثلاث دقائق وهو في مكانه مرهف السمع لأقل حركة أو صوت .. ولكن السكون ظل سائدا فأيقن أن سره لم يكشف وأنه ليس هناك لجنة للاستقبال ستخف إلى مقابلته والترحيب به !

وأخرج "لوبيين" من الكيس المعلق بمنطقته قناعا من المطاط الأسود وضعه على وجهه حتى إذا خافه الحظ ولمحه أحد ممن في اليخت عجز عن أن يتبين وجهه .

تعلق "لوبيين" بأحد حبال اليخت ورفع جسمه قليلا إلى الأعلى حتى حاذى رأسه كوة مضاعة قريبة منه ونظر من خلالها . فإذا أمامه قاعة كبيرة تشغل الشطر الأكبر من اليخت وقد جلس فيها نفر من الرجال فهناك اثنان يطالعان الصحف ويدخان .. وهناك أربعة انتظموا حول مائدة في وسط الغرفة يلعبون الورق . وقد شاطرهم المنضدة شخص خامس وهو منهمك في كتابة خطاب . وفحص "لوبيين" وجوهمهم في اهتمام حتى انطبعت صورهم في ذهنه وقد انرك من الغضون والتجاعيد المنتشرة في وجوهم التي لوحث الشمس بشرتها أنهم من

رجال البحر القدماء .

انتقل بعد هذا في حذر إلى كوة ثانية . ولما نظر منها وقع نظره على ذلك الجاسوس المولع بالثياب المتنافرة الألوان ، الذي تعقب خطواته بعد ظهر ذلك اليوم . وفي نفس الغرفة كان الجاسوس الثاني الذي رآه في فندق دي لامير عند ذهابه إلى زيارة "جوان بارلو" .

ولم يكن في وسع "لوبيين" أن يفحص غرف اليخت الأخرى وإلا اقتضى الأمر منه أن يتسلق الحبال . ومثل هذا العمل مجرد عن الحكمة وليس له فائدة . ولكن كان هناك كوة فوق رأسه تنهى إلى سمعه منها أصوات ميز من بينها صوت الأستاذ "ماركو" وهو يقول مختتما روايته عن إحدى تجاربه في الغوص تحت سطح الماء :

- كانت السمكة هائلة ضخمة وقد اقتربت من الغواصة والصقت عينها بزجاج النافذة وجعلت تحمق إلينا . والغريب أنها كانت تنظر إلينا باحتقار كأنما تستخف بهذه المخلوقات الأدمية .

وضحك الحاضرون لهذه الدعابة ثم سمع "لوبيين" صوت "بوهيم" المجرد عن الشعور يقول :

- ألا يغريك هذا يا "تسلنبرج" بأن تغوص إلى قاع البحر ؟ .

وارتفع صوت أجش لم يسمعه "لوبيين" من قبل يقول :

- أنا ؟ . إنني أخاف حتى السباحة فكيف أهبط إلى القاع ! اتحبن

أنت الغوص يا مس "بارلو" ؟ .

وتكلمت "جوان بارلو" فقالت :

- إن الغوص لذيق فيما اعتقد .. ولكني أخشى أن أقوم بمثل هذه التجربة فإن الخوف لا يلبث أن يستولي علي .

ودار "لوبيين" حول اليخت في سكون ولما رجع ثانية إلى مكانه الأول كان المقامرون قد انتهوا من لعبهم . وكاتب الخطاب قد فرغ من كتابته . أما الرجلان اللذان كانا يطالعان فكانا لا يزالان متمددين على مقعديهما يقرآن . أما الجاسوسان فكانا قد ارتميا على فراشهما ينشدان النوم .

واخذ "لوبيين" يسأل نفسه عما إذا كان "بوهيم" قد أقام فوق اليخت رقيقا ؟ . ولكن ما الداعي إلى هذه الرقابة و "جوان بارلو" موجودة على ظهر اليخت ؟ فإذا كان "بوهيم" يستريب فيها فهو آمن من شرها ما

دامت معه وليس به من حاجة إلى إقامة أحد من الرقباء ، فضلا عن أن ربيته فيها لا تستند حتى الآن إلى دليل . وبفرض أنه ايقن أنها تابعة لشركة "انجريك" فليس ثمة ما يدعو إلى الحذر وهو يعلم أنها غير متصلة بأحد وأن الرجل البدين الأصلع الذي جاء يزورها صديق قديم لأبيها وأنه سافر على الفور .

وتسلك "لوبيين" أحد الحبال حتى إذا حاذى رأسه سياج اليخت ربحض في مكانه ساكناً لا يتحرك كأنه قطعة من الجمار مصيخاً أذنيه للسمع . ولكن السكون لبث يسود المكان ، فلم يسمع "لوبيين" وقع أقدام تجري ولا جلبة أو همسات ، فبعد بضع دقائق من التربص والترقب ايقن أن ليس هناك من أحس بأمره ، فما كان منه إلا أن رفع جسمه قليلا وتخطى سياج اليخت فصار على ظهره وفي خطوات سريعة بلغ غرفة الآلات فوقف مستترا في مظلتها .

ورأى على مقربة منه ذلك الشيء الضخم الذي رآه بالمنظار من يخته مغطى بالقماش قدنا منه ودس يده بين فرجات القماش فاصابت أسلاكاً وحبالاً ومواسير من المطاط . ثم رأى هذه المواسير تمتد حتى إذا بلغت غرفة الآلات الفاها ملفوفة على عجلة هناك وعرف على الفور أن هذا "الشيء" عبارة عن خطاف ميكانيكي هائل يمكن أن يدلى إلى قاع البحر فينطبق على أي شيء هناك .. ينطبق على حطام سفينة .. أو على صندوق مملوء بالذهب فيرفعه إلى سطح اليخت .

هز "لوبيين" رأسه وقال يخاطب نفسه :

- إن في هذا ما يدعم ما ذكرته "جوان" .! وليس هناك من يمكن أن يرتاب بعد هذا في أن "فون بوهيم" على رأس لصوص السفن الغارقة . وفي هذه اللحظة بالذات سمع "لوبيين" صوت باب يفتح في نهاية اليخت وأضاء النور المكان فوق في روعه أنهم كشفوا أمره فجاءوا للقبض عليه .. وامتدت يده إلى مسدسه المعلق في منطقتة ، ولكنه ما لبث أن أدرك أن مصابيح اليخت كلها أضيئت فعرف أنه ليس مقصوداً بهذه الإضاءة ورجح لديه أن "بوهيم" يريد أن يطوف اليخت بضيقه ليفرجهم عليه .

لم يكن هناك مكان يتوارى فيه ، وعلى حين فجأة . وفي خطوات

سريعة مشى إلى غرفة الآلات فامسك بمظللتها ورفع جسمه في الهواء
ثم طوح ساقيه . وفي حركة بهلوانية كان رابضا فوق سطح الغرفة
منبطحا على وجهه يرقب القادمين دون أن يروه .!

الفصل العاشر

كان "فون بوهيم" حريصاً على أن يحيط مدعويه طوال السهرة بالأنس والبشاشة والتلطف . وكان يولي "جوان بارلو" عناية خاصة ولا ينفك يفيض عليها من ابتساماته ورقته مانفى كل شك من نفسها وما جعلها تعتقد أنه لم يرتب في امرها .

ولكنها ما لبثت أن أدركت خطأها بعد قليل من الوقت .. كانت خطة "فون بوهيم" ترمي إلى أن يراقبها خلسة ويتغافل عنها كما يتغافل القط عن الفار حتى يحسب هذا أن القط لم يره . كان سلوكه هو وصاحبه "شلمنبرج" إزاءها سلوكاً رقيقاً ظريفاً في ظاهره .. ولكنها كانت تشعر شعور اليقين أنهما يراقبانها ويتفرسان فيها ويزنان كل حركة من حركاتها ويرقبان كل إيماءاتها .

لم يكن الخطر كامناً فيما يقولان أو يفعلان وإنما كان في صمتهما .. كان في هذه الابتسامات المفتعلة التي ترتسم على الشفاه دون أن تتألق بها العيون .. كان في هذه الضحكات التي تنفجر عنها أفواههما دون أن تهز قلبيهما .. كانا طول الوقت يرقبان .. ويدرسان .. ويتربصان .. كل إيماء منها .. أو نظرة .. أو حركة .. كانت موضع الدرس والفحص .. وحتى نبرات صوتها كانت محلاً للتحليل .

كانت خطتهما ترمي إلى أن يجعلها فريسة لتصوراتها وأوهامها .. تركاها تفكر .. وتتصور .. وتتهم .. حتى إذا تحطمت أعصابها أمام هذه المراقبة الخفية أمكنهما أن يتبينوا في وجهها ما يؤيد ربيتهما أو ينفيها .

ولما انتهوا من العشاء اقترح عليها "فون بوهيم" أن يفرجها على اليخت فانبرى "شلمنبرج" يقول :

- أما أنا فلوثر أن أبقى هنا أتبادل الحديث مع الأستاذ .

طاف بها "بوهيم" أرجاء اليخت .. وما ترك غرفة إلا أدخلها إليها شارحاً مزاياها وفوائدها بصوته الأجوف الرنان المضطرب النغمات حتى إذا خرج بها إلى ظهر اليخت شعرت كأنما خرجت من ظلام السجون إلى نور الحرية .

تابط "بوهيم" نراعيها وهو يقول :

- إن الجلوس على ظهر اليخت في ضوء القمر نعمة كبرى .
للمرة الأولى كان في صوته نبرة خفيفة تدل على الانفعال .
وهتفت الفتاة قائلة :

- ما أجمل أن يقتني المرء يختاً فخماً كهذا !..

فقال "بوهيم" على الفور :

- هذا إذا كنت موجودة فيه .. أما اليخت دونك فيصبح موحشاً لا

يساوي شيئاً .

- اتظن ذلك ؟

فقال في صوت اشتدت نبراته :

- اسمعي يا "جوان" . إني رجل غني واسع الثراء .. وصديقي أن في
وسعي أن أجمع في هذا اليخت مئات من الناس أقيم لهم أفخر المآدب
والسهرات دون أن تنضب أموالي . ولكني لا أفعل ما يفعله أصحاب
الملايين عادة .. أتعرفين أنك أول امرأة وطئت بقدميها هذا اليخت ؟
فقالت الفتاة في غير اكتراث :

- أتأسف على ذلك ؟

فكان جوابه :

- نعم :

ثم أردف قائلاً :

- نعم .. إني أسف على ذلك لأن الرجل إذا منح المرأة ركناً صغيراً
منزواً في قلبه فمعنى ذلك أنه يمنحها الحق في أن تأخذ من قلبه ما
شاعت !. إذا فتح الرجل لامرأة ثغرة في تفكيره فمعنى ذلك أنه يطلب
إليها أن تشغل ذهنه أثناء الليل وإطراف النهار !.

فابتسمت "جوان بارلو" وقالت :

- إنك تتكلم في لهجة الرجل الذي أياسه الحب .

- إني ما أحببت في حياتي ..

وضغط الكلمة الأخيرة بطريقة يفهم منها سامعه أنه أراد أن يقول

شيئاً ثم بتر جملته .

ونظرت إليه الفتاة كأنما تسأله إن يتم جملته وحبجها "فون بوهيم"

بنظرة نفاذة وقال :

- لقد مضت اعوام طويلة وأنا أطرد النساء من حياتي .. ما سمحت لامرأة قط بأن تسيطر على قلبي حتى لا اضع نفسي تحت رحمتها .. كلما أرادت امرأة أن يكون لها شأن في حياتي اشحت عنها بوجهي ونبتذتها .. ولكنك جئت أخيراً وأغرقتني ودفعت بي إلى أن اكون مجنوناً .. لقد عرفت أنك تريدني أن تشاهدي يختي فسمحت لك بما لم أسمح به لسواك .. إن حضورك إلى اليخت في نظرك مجرد لهو وتسلية .. أما في نظري فهو بدء الحياة .. وبدء النعيم .. بسماحي لك بالحضور خرجت على قاعدة سرت عليها مدى الحياة . فالآن وقد حضرت لا أريد لك أن تعودتي!

فقالت الفتاة في صوت هادئ النبرات :

- ولكنك ستعدل عن رأيك في الصباح .

ثم مشت أمامه وهي تقول :

- وفضلاً عن هذا فما أحسبك ترضى بأن تنسى سمعتي وشرفي .
فهتف في صوت متهدج قائلاً :

- إن الشرف فضيلة عند المساكين الذين لا يملكون في حياتهم سواه!
إن لدي من المال ما يكفي لأن ينسى المرء ما يقوله الآخرون أو ما يفكرون فيه .. فإذا شاطرتني هذا المال لم تعودي تحفلين بما يقال عنك .
- إلا ما تقوله عني نفسي !

- لا تكوني بلهاء .. إنني أعرف أنك امرأة من النوع الذي لا يؤمن إلا بالحقائق فلا تسلمي نفسك إلى الأوهام أو ضلال العواطف الكاذبة .

وامسك بذراعيها وحقق إلى وجهها وهو يقول :

- إنك المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تهزني .

واجتذبتها إلى صدره فأغلقت عينيها قبل أن يطبق بغمه على شفتيها!
كان فمه متصلياً .. وقبلته تبعث الرعدة في أوصالها .

وبعد لحظات تنحى عنها وعيناه تتقدان كأنهما جمرتان . وقال في

صوت أجش :

- ستبقيين يا "جوان" .

فابتعدت عنه وهتفت قائلة :

- لا ادري .. لقد فاجأتني بالسؤال فدعني اتدير الامر . سلني غدا من فضلك .

- اني مسافر في الغد .

- مسافر ؟

- نعم ؟

- نعم .. إلى ميناء سانت بيتر .. وكنت اعلل نفسي بان ترافقيني .

وساد صمت قصير قطعته الفتاة بقولها :

- اعطني سيجارة من فضلك .

- لقد نسيت علبتي في الغرفة .. فلنرجع .

وفتح بابا قريباً منهما وتنحى عن طريقها لتدخل .. فقالت :

- عجباً ؟ اني لم ار هذه الغرفة بعد .

- كان في نيتي ان اريها لك الآن .

كانت الغرفة كبيرة المساحة وقد انتظمت جوانبها المقاعد والرفوف المملأ بالكتب والاوراق وتوسطتها منضدة كبيرة نشرت عليها خريطة تشغل رقعتها .

على انهما ما لبثا فيها برهة حتى طرق الباب فقال "فون بوهيم" بغضب :

- من هناك ؟.. ادخل !.

ودخل الخادم يدعوه إلى مقابلة الريان فاستانز منها "بوهيم" قائلاً :

- اسمحي لي بلحظة واحدة يا عزيزتي . وساعود إليك على الفور .

وما انصفق الباب عليها حتى أخذت تحدث نفسها بان هذه هي اللحظة التي كانت ترجوها . فمئذ حضرت إلى اليخت لم تخل إلى نفسها دقيقة واحدة .. فهل تغتنم الفرصة لتفتش في هذه القاعة عن دليل يؤيد شكوكها ويثبت التهمة ضد "فون بوهيم" ؟

ولم تكن تدري عن أي شيء تفتش على وجه التحقيق .. ولكنها كانت تعلم علم اليقين أن ثلاثة من رجال أنجربيك لقوا حتفهم بسبب هذا الفضول .. فهل تقدم حتى ولو ضحت بحياتها ..؟

وبنت من رفوف الكتب وأخذت تنقل بصرها بينها فافتها مؤلفات تتناول الفلسفة والملاحة والهندسة البحرية والقوانين الدولية . الخ كما

وجدت مجموعة من المؤلفات عن الجرائم ومذكرات واقعية كتبها بعض الجواسيس .. كما وجدت روايات بوليسية من النوع الممتاز .

وانتقلت بعد هذا إلى الخريطة الكبيرة المنشورة على المنضدة التي تتوسط الغرفة فانحنيت فوقها واخذت تنعم فيها النظر .

كانت الخريطة تتناول بحر الشمال وبحر المانش والجزائر الكثيرة المنبثة فيهما . ورات خطا يصل بين دينار وميناء سانت بيتر وفيه علامات خاصة تميز اتجاه الرياح .. وإلى جانب الخط أرقام كتبت بخط دقيق تبين الأبعاد والمسافات المختلفة .

وقالت في نفسها :

- إنها خريطة عادية لا شيء فيها يدعو إلى الشك .

وعلى حين بغتة لفت بصرها علامة حمراء .. لم تكن مماثلة للعلامات الأخرى الحمراء المنتشرة في أرجاء الخريطة وإنما كانت ذات ميزة خاصة إذ إنها عبارة عن دائرة بالحبر الأحمر تتوسطها نقطة سوداء . شرق جزيرة سارك . وإلى جانب الدائرة أرقام تبين المسافات كتبت بخط دقيق .

اشتدت قبضتها على حقيبتها محاولة أن تستعيد هدوءها وتبدد ما عراها من الاضطراب .. لقد خيل إليها أن قلبها يكاد يثب من صدرها .. في هذا المكان غرقت الباخرة . وهذه الأرقام تبين بدقة تامة الموضع الذي استقر فيه الحطام .

وكانت "جوان بارلو" تعرف أهمية تسجيلها هذه الأرقام إذ إن فيها الدليل القاطع على أن "فون بوهيم" يهتم بالسفن الغارقة .

وكانت تعلم أنها لا تحمل ورقة أو قلما .. ولكن لفت بصرها ذلك القلم الرصاص الموضوع على المنضدة .. وتلك الأوراق الصغيرة القريبة منه . وهمت يدها بأن تلتقط القلم . ولكنها ارتعدت .. وداخلها شعور من الخوف .. وخطر لها فجأة أن من المحتمل .. أن يكون هناك فخ منصوب لها .. وأن القلم والأوراق إنما وضعت أمامها عمدا .. وأن "فون بوهيم" ما تركها ألا ليمهد لها هذه الفرصة .. وأكبر الظن أنه الآن يرقب حركاتها من مكان خفي .. فإذا ما تناولت القلم وسجلت الأرقام كان في ذلك الدليل الحاسم على أنها تتجسس عليه ..

من المحتمل انه استتراب في امرها .. ولكن البرهان لا يزال يعوزه .
فإن هي سجلت الارقام فقد هيات له البرهان المنشود .

لم تلتقط "جوان بارلو" القلم وإنما ابتعدت عن المنضدة وتناولت
سيجارة اشعلتها وارتمت على أحد المقاعد تدخن كأنها ما نظرت إلى
الخريطة إلا عفوا بدافع الفضول العادي دون أن يكون هناك ما يثير في
نفسها اهتماما خاصا بها .

ولما فتح الباب بعد لحظات ودخل "فون بوهيم" كان هدوعها قد
عاودها فاستقبلته بابتسامتها البريئة الساحرة .

وعند دخوله لم يرتكب تلك الغلطة التي كان ممكنا أن يقع فيها سواء
وهي أن يتفرس فيها ويتأمل وجهها .. وإنما اتجه مباشرة إلى دولا ب
قائم في ركن القاعة ففتح درجاً فيه تناول منه مسدسا وهو يقول :

- اتسمحين لي بأن اغيب عنك لحظة أخرى ..؟

- كما تشاء .. وسابقي في انتظارك حتى تعود .

فتمتم "فون بوهيم" يقول وهو يسير إلى الباب :

- لقد لمح أحد البحارة شخصا غريبا يتسلل في أرجاء اليخت كما
حدث في الليلة الماضية .. ولكنه لن يفلت منا في هذه المرة .

ولوح بمسدسه باسم !..

الفصل الحادي عشر

ما سمعت "جوان بارلو" كلمات "بوهيم" حتى وثب قلبها في صدرها واشتدت ضرباته وخيل إليها أن عينيها غامتا وأن الدنيا أخذت تدور والأصوات تطن في أذنيها .. ولكنها استطاعت في غمضة عين أن تسترد ثباتها وقالت :

- حقاً .. ؟

ولكن خيل إليها أن صوتها صادر من أعماق هاوية سحيقة ، وأنه مجرد صدى أجوف رنان . وحاولت أن تبتسم ولكنها كانت تعرف أن ابتسامتها مفتعلة باهتة .

لقد حلت اللحظة الرهيبة ومحال أن تفلح في اتقاها أو سترها ، ولو أن "فون بوهيم" نظر إليها في هذه اللحظة لكشف له اضطرابها ما تخفي من أمرها ولتبين على الفور أنها تتجسس عليه . هذا الطارق الليلي لابد أن يكون هو "أرسين لوبين" .. وسيفاجئونه حتماً .. وسيطلقون عليه النار .. ويردونه قتيلاً .

وكان هذا هو مثار فزعها وخوفها .

وقال "فون بوهيم" في صوت هادئ :

- ليس ثمة ما يدعو إلى انزعاجك .

فنظرت إليه وتلاقت نظراتهما دون أن تختلج عيناها وقالت :

- ولكنني غير منزعجة .. إنه خبر مثير .. ولكن ما الذي يجعلك هدفًا

لمثل هذه الزيارات الليلية ؟

فهز كتفيه في غير اكتراث وقال :

- أغلب ظني أن هذا الطارق من لصوص البواخر أغراه جمال اليخت

فظننه حافلاً بالتحف والنفائس .. وسنكتشف الحقيقة على أية حال .

- دعني أرافك .

- ولكن يا عزيزتي ...

- إنني لست خائفة .. كيف أخاف وأنا في حمايتك ؟ وسالزم الصمت

التام حتى لا أفسد بحماقتي هذه المطاردة . اسمح لي بأن أصحبك فما

كنت لأدع هذا المشهد المثير يفلت مني .

- فليكن .. تعالى معي .. ولكن سيري خلفي .
اطفا نور القاعة وخرجا إلى ظهر اليخت وكان أيضا مطفا الأنوار .
ولما بلغا غرفة الآلات وقفا عندها .. وهمس "بوهيم" في اذنها يقول :
- إنه لا يزال في مكانه .. ها هو ذا ! .

أوما بأصبعه إلى شبح يتراءى في الظلام ، وقد استند إلى جدار
إحدى الغرف محاولا تضليل البصر بثباته وجموده ، ولكنه كان واضح
المعالم بما لا يدع مجالا للشك في أنه رجل يريد أن يستتر نفسه عن
العيون .

ورفع "فون بوهيم" مسدسه .

وكانت "جوان بارلو" إلى جانبه ترتعد وترتعش وقد اضطرب ذهنها
واستولى عليها الخوف . كانت فريسة لعذاب نفسي هائل . لم تكن
تدري أية خطة ينبغي أن تتبع : اتظل صامتة مكتوفة اليدين وهي ترى
"أرسين لويين" يقتل أمام عينيها ؟ أم تصرخ لتنبهه فتكشف من سرها
ما أخفت فيعرف "بوهيم" أنها شريكة "لويين" وأنها إنما توددت إليه
وجاءت إلى يخته بغية التجسس عليه ؟
كان الموقف رهيباً دقيقاً .

وعلى حين بغتة ومضت في ذهنها فكرة نيرة .. الا يحتمل أن تكون
حكاية هذا الطارق الليلي ملفقة عمداً بقصد دفعها إلى مثل هذا
الموقف ! ما الذي يدريها أن "فون بوهيم" نصب لها هذا الفخ حتى يقطع
الشك باليقين ؟ يحتمل أن يكون هذا الطارق بحارا أمره "بوهيم"
بتمثيل هذا الدور ، وستكون الرصاصة التي ستطلق خرطوشة فارغة
حتى يتبين من موقفها حقيقة ما تبطن .

ولكن هذا أيضا مجرد وهم وتخمين .. نعم .. من المحتمل أن يكون هذا
الشبح بحارا يمثل دورا مقصودا . ومن المحتمل أيضا أن يكون هو
"أرسين لويين" ، فما العمل ؟ ما العمل ؟

احتشد في رأسها عشرات من الخواطر ..! اتعطس ؟ اتسعل ؟ اتقع
متظاهرة بالإغماء ؟ فيكون في أية حركة من هذه ما ينبه "لويين" (إذا
كان هو "لويين") إلى الخطر المحدق به ؟ ولكنها كانت تعلم أن "فون
بوهيم" لم يكن ينتظر منها إلا أية حركة من هذا القبيل لكي يتبين حقيقة

أمرها .

وظل "بوهيم" مصوباً مسدسه إلى الشيخ محاولاً إحكام الهدف ، فهو رجل لا يحب أن تطيش رصاصة يطلقها .

ولكن "أرسين لوبين" لم يكن غافلاً عما يجري .

لقد تتبع كل شيء مما حدث منذ البداية . كان رابضاً فوق سقف غرفة الآلات حين دخل "بوهيم وجوان" قاعة المكتبة فزحف حتى بلغ سقف تلك القاعة ، ومن خلال الكوة رأى الخادم وهو يطرق الباب وسمعه وهو يخطر سيده بأن الربان يرغب في مقابلته، ثم رأى "جوان" حين خلت إلى نفسها في القاعة وقد همت بأن تلتقط الورق والقلم لتكتب شيئاً رآته مدوناً على الخريطة فاثار انفعالها واهتمامها .. ثم رآها وقد عدلت عن هذه النية فحمد لها هذه الحكمة إذ كان يعرف أن "بوهيم" يراقبها خلسة من ثقب في جدار الغرفة .. ثم رأى "بوهيم" وقد عاد إليها ليتناول المسدس وسمع ما ذكره لها عن الطارق الليلي الذي شوهد يجوس خلال اليخت .

وها هو ذا "فون بوهيم" يصبو مسدسه إلى الشيخ ويوشك أن يطلق النار !!

وقد رأى "لوبين" الشيخ كما رآته "جوان بارلو" ..

وفهم "لوبين" كل شيء على حين أن "جوان" لم تفهم شيئاً .. كانت الفتاة تظن أن الشيخ ما هو إلا بحار يمثل دوراً بقصد نصب فخ لها .. أما "لوبين" فكان يعرف أن الشيخ طارق ليلي حقيقي .. فقد تذكر ذلك القارب الرياضي المستطيل الذي كاد يصطدم به وهو يسبح إلى اليخت.. لقد اتجه القارب إلى اليخت.. ومن المؤكد أن هذا الشيخ هو صاحب القارب .

ولكن "جوان" لم تر القارب .. وكان "لوبين" يعرف أنها تعتقد أنه هو الشيخ .. وكان يشعر بالعذاب يفترس صدرها .. وكان لابد له أن ينقذها من هذا العذاب .. ومن كشف سرها : فقبل أن يطلق "بوهيم" مسدسه . وقبل أن تصرخ "جوان" .. وثب "لوبين" في خفة الفهد وانقض على "بوهيم" الذي كان واقفاً عند غرفة الآلات على قيد خطوة منه فضرب بقدمه اليمنى ذراع "بوهيم" وأطار المسدس من يده على حين ضرب

رأسه بقدمه اليسرى فاقوعه على الأرض..!

وفي هذه اللحظة تحرك الشبح وجرى إلى سياج اليخت وقفز إلى البحر .. اما "لويين" فلوح بيده للفتاة وأرسل إليها قبلة على اطراف أصابعه ثم وثب بدوره إلى الماء ..! وكان حريصا على أن يجعل قفزته تستقر في الماء على مرمى ذراع من القارب الرياضي المستطيل الذي استقله الشبح .

أمسك "لويين" بطرف القارب وقال في صوت هادئ :

- اظن اني نبهت عليك بأن تغادر فرنسا .

فاجابه الرجل الآخر في صوت جاف :

- اني لا اتلقى أوامري منك .

- ولكنها أوامر مس "بارلو" يا "مدرس" .

فدار "مدرس" بقاربه محتميا بيخت آخر كان رأسيا على مقربة من المكان وقال :

- إن مس "بارلو" مجنونة .. لقد خلبت عقلها بنظراتك الساحرة

فأفقدتها الرشد .. فهي غير مسؤولة عما تقول أو تفعل . ومن واجبي أن ابقى حيث أنا .

فتمتم "لويين" يقول :

- لكي تقتل حيث أنت ..! في المرة الثانية لن ادخل لإنقاذك والواقع

اني ما تدخلت في هذه المرة إلا لانتقذ "جوان" .

فقال "مدرس" في غضب :

- دع القارب ..!

فرفع "لويين" يده عنه وتركه يتابع طريقه وهو يسال نفسه عما يمكن

أن تؤدي إليه حماقة "مدرس" بتدخله الذي لا يدل على الفطنة أو

الحذر .. إنه بهذه حماقة كفيل بأن يفسد خطة "لويين" .. وكفيل بأن

يقضي على نفسه في الوقت ذاته .

وما كاد "لويين" يبلغ يخته ويستقر على ظهره حتى تناهى إلى سمعه

دوي القارب البخاري الملحق باليخت بلومبرج وهو يشق طريقه في

الماء وقد أرسل أمامه نورا كشافا يدور في أرجاء المكان .

استقر النور الكشاف على يخت "لويين" في اللحظة التي استطاع

فيها أن يثب إلى غرفته متواريا خلف الباب فلم يره أحد.
ظل القارب البخاري في طريقه .. ومن خلال الكوة رأى "لوبين" النور
الكشاف يقع على القارب الرياضي المستطيل الذي يجلس فيه
مدرسن.

اتجه اللنش إلى مدرسن حتى صار على قيد خطوات منه . وارتفع
صوت الرجل الذي يتولى قيادة الدفة قائلاً :

- ألم تر أحدا يسبح في هذه الناحية ..؟

- بلى .. لقد رأيت رجلا يسبح متجها إلى ناحية الشرق .

وانطفأ النور الكشاف .. وعلى الأثر سمع "لوبين" صوت ضربة عنيفة
كانما صدرت من مجدف أصاب رأس رجل ..! وأعقب هذا سقوط جسم
على أرضية قارب .

فهم "لوبين" الحقيقة .. عندما سقط النور الكشاف على مدرسن
عرفوا من ابتلال ثيابه أنه هو الطارق الليلي الذي تسلل إلى اليخت ثم
وثب في الماء .. وقد ظن الغبي أنه خدعهم بقوله إنه رأى سابحا يتجه
إلى الشرق ..! وكان عقابه على هذه الغباوة أن ضربه أحد رجال اللنش
بالمجداف على رأسه فلما سقط مغشيا عليه حملوه إلى لنشهم ومضوا
به راجعين إلى اليخت ..!

وللمرة الثانية شعر "لوبين" بأن واجبه يحتم عليه أن ينقذ مدرسن.

الفصل الثاني عشر

عندما وصل القارب البخاري إلى اليخت كان "فون بوهيم" في انتظاره ومعه ضيوفه .

وقال "بوهيم يسأل أحد رجال اللنش :

- ألم تهتدوا إلى شيء ؟

- كلا .

وكان الرجل الذي يتولى الدفة هو الذي ألقى إليه بهذا الجواب.. ولكنه غمز له بعينه خلسة وأرسل بصره إلى سجادة ملفوفة موضوعة في قاع اللنش . وفهم "بوهيم" أنهم اهتدوا إلى الطارق الليلي وأنهم قبضوا عليه ولفوه في السجادة حتى لا يراه ضيوفه .

وتكلم الأستاذ "ماركو" قائلاً :

- هذا شيء يؤسف له . لو أنكم طفتم بالمكان جيداً لعثرتم عليه بلا شك .

ثم التفت إلى "بوهيم" قائلاً :

- أتحب أن نعاود البحث بانفسنا ؟

- لا داعي لذلك . فالاختفاء ليس عسيراً والشاطئ ليس بعيداً عنا .

ثم تحول إلى "جوان بارلو" قائلاً :

- يؤسفني أن يكون هذا الحادث قد عكر علينا صفونا .

وشعرت بأن صوته على غير ما تعهد . وابتغنت أنه أدرك من اضطرابها وفزعها ما كانت تخفي .. وأنه بهذه الكلمات إنما قصد إلى معنى أعمق وأبعد مما تحمله الألفاظ .

ولما رجعوا إلى قاعة الاستقبال قدم إليها "بوهيم" كأساً من الشراب وهو يقول :

- حتى تستعيد ثباتك . فإنه مما يؤسفني أن يكون هذا الحادث قد أهاج أعصابك وأثارها .

فاجابته بقولها :

- إنه لم يثر أعصابي ولم يزعجني .. كل ما هنالك أنه مغامرة طريفة.. ولكنني متعبة وأحب أن أرجع إلى فندقتي .

امر "يوهيم" بإعداد القارب البخاري وتولى بنفسه الذهاب بها إلى الشاطئ . وقال لها والقارب يشق لنفسه طريقا في البحر .

- اترافقيننا غدا ؟

فهرزت رأسها قائلة :

- إني متعبة الأعصاب كما ترى فليس في وسعي أن احزم رأيي الآن ..
افسح لي بعض الوقت .

- ولكن الوقت ضيق كما ترين إذ إننا سنرحل في الغد .

- اعلم ذلك ، ولكن لا تنس أنك تسألني أمراً عظيماً .. وليس من الحكمة أن القي إليك بالجواب في غير تدبر أو روية . إنك تريد أن تشتري حياتي .. وقد تكون حياتي في نظرك تافهة لا قيمة لها .. ولكنها عندي كل شيء . فدعني أفكر وأتروى .

- ولكنك ستحضرين .

- لست أدري .. إني أرى أنك تعتقد أن هناك أشياء كثيرة لا تقبل نقضا أو جدلا .

- إنك ستحضرين .

ووضع يده على كتفها .. وارتعدت للمسته على الرغم منها .. وخيل إليها أن في هذه اللمسة الرهيبة خطرا أشد هولا من الموت .
وتمتعت تقول :

- نعم ساحضر .. ولكن أرجوك ألا تلمسني الآن .

ابتعد عنها "يوهيم" ولم يوجه إليها كلمة واحدة حتى أنزلها على الشاطئ إذ قال لها :

- سنلتقي إذن في منتصف الحادية عشرة .. وإذا شئت أوفدت إليك أحد خدمي ليساعدك على حزم حقائبك .
- كلا .. لا داعي لذلك .. طاب مساؤك .

ورفع يدها إلى شفثيه فقبلها ثم دار على عقبيه وانصرف .
ولما رجع إلى اليخت سال الرجل الذي كان يقود اللنش عندما ذهب رجاله في أثر الطارق الليلي :

- أين وضعت الأسير يا كارلوف ؟

- في الغرفة رقم ٩ .. وهو مقيد مكهم الفم .

- اعرفت من يكون ؟

- لا .. فما رأيته قبل الآن ولكن يحتمل أن يكون قد رآه احد رجالنا الذين يتولون المراقبة على الشاطئ .

لم يقل "فون بوهيم" شيئا وإنما قصد إلى قاعة الاستقبال فالتقى الأستاذ "ماركو" جالسا وحده يطالع إحدى الصحف .

نحى الأستاذ الصحيفة عن عينيه وهو يقول :

- ليت شعري هل يرجى صعود آخر لأسهم مناجم الذهب ؟ فإن لدي كمية منها أحب أن أبيعها بأحسن سعر ممكن .

- سل "شلنبرج" فهو خبير بالمسائل المالية .. ولكن أين هو ؟

- لا أدري .. لقد أنبأني أنه ذاهب إلى غرفة الآلات ليتأكد من أن الوقود كاف لرحلة الغد .

وإدرك "فون بوهيم" أن "شلنبرج" لم يذهب إلى غرفة الآلات، وإنما ذهب إلى المقصورة رقم ٩ ليستجوب الأسير . واستحتمق منه هذا التعجل الذي لا داعي له .

حقيقة إن الأستاذ "ماركو" خالي الذهن مما يجري وراء الستار ولا تدخله رغبة في نية "فون بوهيم" . وحقيقة إن الغرفة رقم ٩ بنيت خصيصا لمثل هذه الأغراض وشيدت جدرانها بطريقة علمية بحيث لا ينفذ منها الصوت حتى ولو أطلقت رصاصة في داخلها .. ولكن ليس من الحكمة أن يترك "شلنبرج" الأستاذ "ماركو" وحده ويمضي إلى الأسير فقد يخطر للأستاذ أن يتمشى في أرجاء الباخرة . وقد تقوده قدماء إلى الغرفة السرية .

ولبث "بوهيم" جالسا مع الأستاذ حتى نهض هذا واقفا مبديا رغبتة في أن يأوي إلى مخدعه .

وعند ذلك قصد "بوهيم" إلى الغرفة رقم ٩ وقد صبح عزمه على أن يرغم الأسير على الكلام ويتزعم منه أسرار له ولو اضطر إلى كيه بالحديد المحمي .

دق الجرس المثبت في باب الغرفة .. ولكن "شلنبرج" لم يبادر إلى فتح الباب .

وارسل بصره إلى ثقب القفل فوجد أن المفتاح موضوع فيه من

الخارج .

ادار المفتاح .. وهم بالدخول . ولكنه شعر بان اصابعه تلوثت بمادة لزجة لينة فعجب للامر ونظر إلى يده على ضوء المصباح المثبت في سقف الممشى فراها ملوثة بالدماء !

دفع باب الغرفة ودخل فالفأها غارقة في الظلام .. وامتدت يده على عجل إلى الزر الكهربائي فسطع النور في المكان .

وهنا رأى "فون بوهيم" منظرا عجيبا : كان هناك حبال ممزقة ملقاة على الأرض . وفي وسط الغرفة بركة من الدماء .. وإلى جانب البركة كان "شلنبرج" طريحا على الأرض وهو جثة هامدة ؟
او هذا على الأقل هو ما خيل إلى "فون بوهيم" .

لقد ظن في اول الامر ان "شلنبرج" جثة هامدة .. ولكن الواقع ان الدماء التي كونت إلى جواره بركة صغيرة إنما نزلت من انفه واسنانه . وما كان جموده وسكون حركته إلا لأنه كان غالبا عن الوعي !

الفصل الثالث عشر

عندما انقذ "لوبين" البوليس السري "جون مندرسن" من الغرفة السرية كان المسكين لا يزال فريسة لتلك الغيبوبة الطويلة التي حلت به إثر الضربات التي كالهيا له رجال "بوهيم" .. فلما نقله "لوبين" إلى يخته اضطر أن يسحبه وراءه في الماء سحباً . ولما بلغ اليخت خف خادمه "بيير" إلى مساعدته على انتشاله .

وقال "بيير" يساله :

- من هذا ؟

- سمكة حمقاء .. أو بعبارة أخرى بوليس سري لا يفهم من الدنيا شيئاً .. ومما يؤسف له أنه لا يحبني .. لقد حاول أن يموت مرة الليلة فلما أنقذته أبى أن يشكرني .

- وهل هو ميت الآن ؟

- لا ولكنه قريب إلى الموت .. وفي رأسه قطعة ناتئة بارزة في حجم التفاحة .. ولا أظنه سيكون مبتهجاً عندما يستيقظ .

طرحا "مندرسن" على ظهر اليخت ونزعا منه ثيابه وعلقاها حتى تجف واخذ "لوبين" يقوم له بعملية التنفس الصناعي حتى دبّت إليه الحياة فأخذ يتنفس بانتظام ويتوجع ويتأوه .. ولما فتح عينيه دار بهما فيما حوله ثم تمت يقول :

- أين أنا :

فأجابه "لوبين" في صوت عطوف :

- إنك في يخت آخر . وإلى يسارك الميناء وإلى يمينك البحر . وامامك "أرسين لوبين" .

فحملق إليه "مندرسن" بعينين ترميان بالشر ثم تمت يقول :

- هذا ما ظننت .

واقبل "بيير" يحمل أقذاح الشراب فتناول "مندرسن" كأساً أفرغها في جوفه ثم قال في لهجة خشنة :

- عليك اللعنة ! من الذي طلب إليك أن تأتي بي إلى يختك ؟

- لست أنت على أية حال .

- الم تنبئني بانك لن تتدخل في شؤوني في المرة التالية وانك لن تحاول ان تنقذني ؟

- هذا صحيح .

- وماذا تنتظر مني ؟ انتتظر ان اجثو على قدميك فاقبلهما شاكرًا فضلك مقرا بجميلك ؟

- كلا بالتأكيد .. فإني لا أحب شكك وانت في هذا البنطلون القصير . وكان البنطلون خاصا بـ "بيير" إذ إن ثياب "مدرسـن" كانت لا تزال مبتلة وموضوعة على أحد المقاعد لتجف . وصاح "مدرسـن" في صوت حانق :

- إني لم اطلب إليك ان تنقذني فلا تنتظر مني شكراً .. وإذا كنت تتوقع اني سأعتبر انك أسديت إلي جميلا فانت مخطيء في هذا الظن . اتظن انك بمثل هذه الاعمال تستطيع ان تخدعني وتقترب إلي كما خدعت "جوان بارلو" وتقربت إليها ؟ كلا .. إني لست من هذا الطراز الذي يخدع بسهولة .. يمكنك ان توثقني بالحبال وتعيدني إلى اليخت بلومبرج حيث نبدا من حيث كنا . فنظر إليه "لويين" طويلا ثم قال :

- هذا اقتراح جدير بالتفكير .. خبرني .. هل اشتغلت مع "انجربيك" طويلا ؟

- عشرة اعوام .

- إذن فلا بأس .

- لا بأس بأي شيء ؟

- لا بأس بان اقتلك أو اسلمك إلى "فون بوهيم" ليقتلك .. فلن يحزن موتك "انجربيك" إذ لا شك أنه سئم وجهك الدميم وقد رآه عشرة اعوام كاملة .

- حقا !

- نعم .. واعلم انك إذا وقفت في طريقي مرة أخرى فساسد إلى وجهك لكمة تطيح بأسنانك كلها فلا يكون لك من طعام إلا اللبن .. على أن تتناوله من بزازة !

وساد صمت قصير قطعه "لويين" بقوله :

- والآن اصغ إلي .. للمرة الاخيرة يجب ان تعلم انهم يعدون لك قبراً مزيناً بالورود والازاهير .. ولكن لا أريد لك أن تدفن الآن .. وليس معنى هذا أن أمرك يهمني إذ كل ما هنالك اني أخشى أن ينكشف أمر "جوان" بوقوعك اسيراً بين يدي "بوهيم" .. لم يكن في نية "بوهيم" أن يطلق عليك النار .. وإنما كان يعنيه أكثر من ذلك أن يرى تأثير الحادث في نفس "جوان" .. وهذا هو السبب الذي دفعني إلى إنقاذك في المرة الأولى أما في المرة الثانية فانتقذتك لأنهم كانوا أحرىء بأن يعرفوا شخصيتك عندما يرون وجهك فيذكر لهم جاسوسهم أنك زرت "جوان" في غرفتها في الفندق . وإذا حدث هذا فقد انتهى أمر "جوان" وقضى عليها القضاء المبرم . فرأيت أن أخف إلى إنقاذك على الفور حتى لا أتيح لهم فرصة يعرفونك فيها .. وفضلاً عن هذا فإنني أعرف أن "فون بوهيم" يحب أن يكوى خصومه بالحديد المحمي .. وأنا رجل أكره أن أعطى في نومي وأنا أعرف أن هناك غيباً مثلك سيكوى بالنار .. فلا تتوهم أني أهتم بك بصفتي أبا رحيماً وبصفتك طفلاً سانجاً غريباً !

فنظر إليه "مدرس" ساخراً وقال :

- ولكنك فيما أرى تحب أن تكون أبا لـ "جوان" !

- هذا شائي .

- وشائي أنا أيضاً .

ثم أردف في صوت صاحب قائله :

- اسمع يا "لوبين" .. إنني أعرفك حق المعرفة .. إنك لص معروف . ولا يمكن أن تكون رجلاً شريفاً .. وإذا كنت لا تزال حراً طليقاً حتى اليوم فإنما يرجع ذلك إلى براعتك في تضليل رجال البوليس وحرمانهم من الأدلة التي تثبت سرقاتك .. يحتمل أنك خدعت بعض الناس بما تدعيه من حبك للفقراء ونقمته على الأغنياء وإنك إنما تأخذ من هؤلاء لتعطي أولئك .. ولكنك لن تخدعني بهذه الأباطيل .. إنك يا "لوبين" لا تهتم بعمل إلا لكي تنال من ورائه مالا .. وما اهتمامك بمسألة السفن الغارقة إلا لأنك تطمع أن تجني من ورائها الشيء الكثير .

فنظر إليه "لوبين" باسمياً وقال :

- وانت ؟ أتريد أن تقول إنك لا تجني شيئاً ؟

- إني أتناول مرتباً قدره مائة دولار في الأسبوع .. ولكن لا مطمع لي غير هذا .

- أتريد أن تقول إنك تعتقد اني لا يمكن أن أرى بمائة دولار أسبوعياً ؟..

- أنت ترضى بمائة دولار ..؟ لو كان الأمر كذلك لأشتريتك على الفور .
- واين أموالك ؟..

- ولم تسال ؟..

- لأبيع نفسي إليك .. بمائة دولار في الأسبوع تستطيع أن تستغل ذكائي .. وأنت فيما أرى في حاجة ماسة إليه .. فضلاً عن اني سأغامر بنفسي في المتاعب . ولعلك لا تجهل اني مطبوع على الولع بالمتاعب ..
إني أحاول أن أقنعك يا "مدرس" بأنني قد أصبحت رجلاً شريفاً وليس لي من غرض في الحياة إلا أن أكفر عن خطاياي وأثامي .
فقال "مدرس" مزجراً :

- أما أنا فأحاول أن أقنعك بأنني لست غيبياً وإنك لا تستطيع أن تدبر رأسي مهما حاولت . فإذا كنت قد استطعت أن تخدع "جوان" فليس في وسعك أن تخدعني .. إني أعرف نيتك يا "لوبين" .. إنك تريد أن تزيع "فون بوهيم" من الطريق لكي تحل مكانه .. وهذه هي كل بغيتك ولن تستطيع أن تزحزحني عن اعتقادي هذا مهما أوتيت من البلاغة والمنطق والقدرة على الإقناع .

تنهد "لوبين" في يأس وقنوط وقد أدرك أن من العبث أن يحاول إقناع الشرطي الأمريكي العنيد بحسن نيته وإخلاصه فقال :

- .. إيه هذا شأنك يا "مدرس" . فليس في وسعي أن أجربك من غبائك .. ولكن مادمت مصراً على هذا الرأي بإزائي فعلي أن أفكر فيما ينبغي أن أصنع بك .

فقال "مدرس" :

- لا تهتم بأمري .. أعطني ملابسني حتى أنصرف .

- المسألة هي : هل أدعك تنصرف أم لا أدعك ؟

فقطب "مدرس" جبينه وقال يسأله :

- ماذا تعني ؟

- اعني اني اكره منك ان تعترض طريقي .. لقد انقذتك مرتين ولا يتسع وقتي لإنقاذك مرة ثالثة .. فاني اريد أن افرغ للعمل العظيم الذي شرعت فيه . وتدخلك الاحمق يفسد خططي .. فالراي عندي يا "مدرس" هو ان احبسك في مكان لا تستطيع منه فرارا حتى لا تقدم على حماقاتك المعهودة .

الفصل الرابع عشر

عندما سمع "مندرسن" كلمات "لوبين" هب واقفا واقترب منه وهو يقول في وحشية :

- ماذا تقول ؟

- اقول إنني سأضطر إلى حبسك في إحدى غرف اليخت حتى اطمئن إلى أنك لن تعرض نفسك للموت مرة ثالثة .

- أنت تحبسني ؟

- نعم .. كما يحبس المجانين .. هذا إلا إذا كنت تحب أن يرسل رجال "فون بوهيم" رصاصة تستقر في أمعائك .

وفي تلك اللحظة فطن "لوبين" إلى صوت مجداف يضرب الماء في خفوت .

وعلى الرغم من اهتمامه بمخاطبة "مندرسن" تنبه ذهنه إلى الحقيقة .. وعرف على الفور أنه صوت قارب يدنو من اليخت .

وقهم "لوبين" كل شيء .

وفي سرعة البرق تحركت يده فأصابته فك "مندرسن" في لكمة هائلة جعلته يترنح ويسقط على الأرض غائبا عن الوعي دون أن تصدر عنه آهة واحدة .. وكانت هذه اللكمة هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من جدله ليتفرغ لاستقبال القادمين .

حمل "لوبين" "مندرسن" ودخل مسرعا إلى قاعة الآلات فطرحه على الأرض وهو يقول لخادمه "بيير" :

- خبئه ..! خبئه سريعا ؟..

ثم خرج إلى ظهر اليخت وقذف إلى الغرفة بثياب "مندرسن" التي كانت موضوعة على المقعد لتجف .

وما كاد يفعل هذا حتى كان القارب قد وقف إلى جوار اليخت .. وارتفع صوت أحد رجاله يقول :

- يا رجال "كورسير" .. يا رجال "كورسير" .

فبرز "لوبين" إلى سطح اليخت يمشي في هدوء وسكون كأنما لم يقع شيء على الإطلاق وقال :

- من هناك ؟..

فارتفع صوت "فون بوهيم" يقول :

- "إنني "بوهيم" .. أسمح لي بالصعود إلى يختك لحظة واحدة ؟

- بكل ارتياح .

ومد "لوبيين" يده إليه يساعده على الصعود فقال "بوهيم" في صوته
الأجوف الرنان :

- إنها فيما اعتقد ليست بالساعة المناسبة للزيارة .. ولكني كنت مارا
من هنا فتوقعت أن أجدك مستيقظا .

- إنني في العادة لا أنام مبكرا ..

وقاده إلى قاعة الاستقبال ورفع صوته ينادي خادمه :

قال "بوهيم" وهو يشعل سيجارة قدمها إليه "لوبيين" :

- إن ما دفعني إلى زيارتك الآن إنما هو رغبتني في أن أتأكد من أن
عزمك صح على مرافقتنا في الغد .. من المحتمل أنك ظننت أن دعوتي لك
جاءت عفوا ، فجئتك لأؤكد لك أنه يسرنا أشد السرور أن تصحبنا .

- إنني شاكر لك هذا التلطف .

ولما دخل "بيير" امره بان يأتي بالشراب .. فلما رجع يحمل الاواني
والإقداح نظر إليه "لوبيين" نظرة ذات معنى فدار هذا قليلا بحيث صار
في موضع لا يراه منه "بوهيم" ثم غمز له بعينه غمزة خفيفة فهم منها
"لوبيين" أنه أخفى "مدرسنا" .

وقال "لوبيين" مسترسلا :

- لقد صح عزمي على الحضور .

- إذن سنكون في انتظارك . وسترافقنا "جوان" أيضا .

- من التي سترافقنا ؟

- مس "بارلو" .. وأنت تعرفها بالتأكيد .

كان "لوبيين" يصب الشراب في القدر فلم ترتعد يده . وقال في ثبات :

- اظن أنني لا أعرفها .. من هي هذه السيدة ؟

- لقد كانت معنا عندما .. أوه معذرة .. لقد خانتني ذاكرتي .. كنت

اظن أنها كانت معنا عندما التقينا في الكازينو هذا الصباح .. ولكنني
نكرت الآن أنها انصرفت قبيل أن تحضر أنت . ولكنك ستقابلها في

جرنسي .

فابتسم "لوبيين" وقال في ابتهاج :

- إذا كانت جميلة كاسمها فارجو أن أقابلها .

- إن اليخت سيقلع غدا في الساعة الحادية عشرة .. ولكن الرحلة لن تستغرق وقتا طويلا فاليخت مزود كما تعلم بالآلات البخارية .. إن يخطئك فيما أظن لا يستعمل إلا الشراع . ولو أني كنت أصغر سنا مما أنا بعشر سنوات أو عشرين لطاب لي أن أزود يختي بالشراع وحده .

وكان "لوبيين" في خلال هذا الحديث يسأل نفسه عن السبب الذي دفع "فون بوهيم" إلى زيارته في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل .. لقد ذهبوا بلا شك إلى الغرفة السرية فوجدوا أن أسيرهم قد فر هاربا فهل أيقنوا أن "لوبيين" هو الذي ساعده على الفرار فجاءوا إلى يخته ليتأكدوا من الحقيقة ؟.. أم أن الأمر كله لا يعدو مجرد وهم وريبة ..؟

ودار "فون بوهيم" بعينه في أرجاء القاعة ثم قال :

- إنه فيما أرى يخت جميل .. كم تبلغ حمولته ؟

- خمسة وعشرين طنا .

- إنها حمولة كبيرة .

نهض واقفا وأخذ يفحص جدران الغرفة ويتأمل نقوش السقف ثم

تمتم يقول :

- بديع جدا ! إنني أحسبك .. ما أجمل أن يملك الإنسان يختا شراعيا من هذا النوع لا يشاركه فيه أحد من البحارة .. يقوده بنفسه ويوجهه حيث شاء بنفسه .. لو أني كنت في شبابي لمارست هذه الرياضة البديعة .

ثم أردف قائلا :

- وهل بقية الغرف جميلة كهذه الغرفة ؟

وإدرك "لوبيين" على الفور غرض "بوهيم" من هذه الزيارة .. لقد جاء عقب فرار "مندرسن" متنزعجا بحجة واهية ليطلب رؤية اليخت حتى يطمئن إلى أن "مندرسن" ليس موجودا هناك .

وقال "لوبيين" مجيبا :

- نعم إنها كلها غرف مريحة .

وانتقل 'بوهيم' إلى غايته فجأة فقال في هدوء :
- أسمح بان تفرجني عليها ؟ إنني لم أكن أتصور ان أجد يختا
شراعيًا بمثل هذا الجمال !
ثم ضحك وقال :
- ومن المحتمل أن تغريني مشاهدته بان ابتني لنفسي يختًا من
طرازه .

وجذب 'لوبين' نفسًا طويلا من سيجارته .
لم يكن في وسعه ان يغير مجرى الحديث . فإن 'بوهيم' لابد ان يردد
إلى نفس النقطة التي ينشدها . وما كان في وسعه ان يعتذر عن إجابة
هذه الرغبة وإلا أثار الشك في نفس غريمه .
ونظر 'لوبين' إلى 'بوهيم' فرأى له وجها جامدا لا ينم عن شيء.. ذلك
الوجه الألماني الساكن الذي يشبه وجه التمثال الذي لا ترتعد فيه عضلة
واحدة ولا تختلج عين .

نهض 'لوبين' واقفا بدوره وقال مرحباً :
- بكل ارتياح .. تفضل معي إلى غرفة القيادة .

الفصل الخامس عشر

لم يغادر "لوبيين" الغرفة مع ضيفه على الفور وإنما اطفأ السجارة التي كان يدخنها واشعل سجارة أخرى حتى يفسح لخادمه "بيير" وقتا يتصرف فيه .. كان يعلم أن "بيير" واقف عند الباب لثقتي أوامره .. فلا شك أنه سمع الحديث الذي جرى بينه وبين ضيفه . فإذا كان على شيء من الذكاء فسيبادر حتما إلى نقل "مندرسن" إلى غرفة أخرى غير غرفة الآلات .

وذهب "لوبيين" بضيفه إلى غرفة الآلات وجعل يفرجه على محتوياتها من أجهزة مختلفة تبين سرعة الرياح . وعمق المياه وقوة التيار .. الخ ولما خرجا من الغرفة ألقى خادمه "بيير" جانسا في نهاية الممشى وقد نشر بين يديه رواية بوليسية وهو منهمك في مطالعتها . وأرسل إليه "لوبيين" بصره مستنجدا .. متلهفا . محاولا أن يفهم شيئا ! ولكن "بيير" ظل على جموده لا يرفع بصره عن الرواية التي بين يديه ولا يحفل بـ"لوبيين" أو بنظراته الراجية المتوسلة . وكانت سحنقه جامدة أراد "لوبيين" أن يستشف منها شيئا فالفأها قطعة من الحجر لا تشعر ولا تحس .

وفتح "لوبيين" باب اقرب غرفة إليه وقال محاولا أن يجد في المزاح ما يهدئ من ثورة أعصابه :

- هذا هو المطبخ .. حيث يكسر "بيير" الأطباق ويسمم الطعام ! وهذه هي الثلاثة التي نضع فيها زجاجات الشراب لتسخينها !
وابتسم "فون بوهيم" جذلا . ولم يلق إلى المطبخ نظرة وإنما فتح الثلاثة ونظر فيها مبديا إعجابه بحسن صنعها . ثم فتح دواب المطبخ وألقى نظرة إلى محتوياته مبديا إعجابه أيضا .. بل لقد أمسك المفروش المنشور على المائدة ورفع أطرافه المتدلية على الأرض قد تخفى "مندرسن" تحت المائدة وقال :

- مفرش جميل ! من أين اشتريته !

ولما أشار "لوبيين" إلى خزان الماء تمتم "بوهيم" يقول :

- أهذا خزان الماء ؟ بديع جدا ! فلا تفرج عليه .

وصعد السلم المثبت إلى جانب الخزان ورفع غطاءه قليلا ونظر في داخله .

وهكذا لم يدع مكانا في المطبخ يمكن أن يخبا فيه "مندرسن" إلا فتحه ونظر في داخله .. وهو في كل هذا يتظاهر برغبته في المشاهدة مبديا إعجابه بما يرى .

ولما خرجا إلى الممشى ثانية القى "لوبين" نظرة على "بيير" يستفسر بها عما فعل خادمه الأمين لمقابلة الموقف . ولكن هذا كان لا يزال على عهده منهما في قراءة قصته البوليسية لا يحفل بما حوله قامت الدنيا أو وقعت .

أشار "لوبين" إلى باب إحدى الغرف وقال :

- وهذا هو الحمام .

وهم بأن يتابع سيره إذ كان يعتقد أن الحمام هو أصلح مكان اختاره "بيير" لتخبئة "مندرسن" ولكن "بوهيم" قال على الاثر :

- الحمام ؟. حقا ؟. لا شك أنه يكون أعجوبة في مثل هذا اليخت

الصغير الحجم ؟! . أسمح لي بأن أراه .

ولم ينتظر جوابا وأطل برأسه إلى داخله فقال "لوبين" :

- ليس فيه ما يستحق المشاهدة .

ولكن "بوهيم" لم يحفل بهذا الاعتراض . ووقف "لوبين" عند الباب وهو يتوقع أن يستدير إليه "بوهيم" وفي عينيه نظرة تدل على الانتصار عندما يرى "مندرسن" راقدا في حوض الاستحمام .

ولكن "بوهيم" استدار إليه بعد لحظات ووجهه على عهده جامد جذل لا يدل على أنه اكتشف شيئا جديداً وقال :

- حمام بديع ! لقد جمع كل أسباب الترف . وفيه دش أيضا ! . الحق

أنني أتساعل في نفسي عما إذا كنت قد نسيت شيئا تزود به يختك ؟ . وانتهيا إلى باب آخر أوما إليه قائلا :

- هذه غرفة صغيرة لا أهمية لها .

فكان جواب "بوهيم" :

- كيف تزعم أنها لا أهمية لها وأنا أرى أن كل شيء في يختك يدعو

إلى الاهتمام والإعجاب ! .

فتح باب الغرفة وبخل .

وكان في الغرفة فراش منصوب في ركن منها وقد كومت الاغطية عليه
فدس "بوهيم" يده فيها فلما منه أن من المحتمل أن يكون "مدرس" نائما
في وسطها وقال :

- اغطية سميكة .. أصبت فإن البرد يشتد في بعض الأحيان .

ثم رفع الملاة التي تغطي السرير وتندلى على الأرض ونظر تحت
السرير وقال :

- وهل هذا السرير مصنوع من الحديد أم من الخشب ؟ من الخشب

هذا بديع !

وكان "لوبي" في خلال هذا يشعر بالحرج ودقة الموقف وقد أزعجته
أساليب "فون بوهيم" الماكرة وثقلت على أعصابه حتى لقد خطر له أن
يصيح بملء صوته :

- نعم أيها الاخ .. إن "مدرس" موجود عندي !

لكي يتخلص من هذا الموقف المشحون بالكهرباء يهيج الأعصاب ..
بل لقد تمنى أن يعثر "بوهيم" على "مدرس" في أول غرفة يدخلها
حتى ينتهي الأمر ويتبدد هذا القلق الذي استولى عليه .

ولما بلغا طرف اليخت وجدا هناك غرفة صغيرة قائمة وحدها فرأى
"بوهيم" ألا يحرمها من إعجابه . كما أنه أسبغ هذا الإعجاب على دولاب
الملابس وعلى الثياب المصفوفة في داخله .

وهكذا استمر "فون بوهيم" يطوف باليخت دون أن يدع ركناً لم يتفرج
عليه .. أو دولاباً لم يفتحه . أو سريراً لا ينظر تحته . وكان يقوم بهذا
التفتيش بدقة استغرقت وقتاً طويلاً جعل "لوبي" يعتقد أن العمر تقدم
به عشرة أعوام وأن ليس ثمة ما يدعو إلى الاستغراب إذا رأى لحية
بيضاء تنبت له .

وقال "بوهيم" :

- صدقني إن هذا اليخت أجمل ما رأيته .. لو أنك كنت تاجراً لتبيع
هذه اليخوت لكنت أول عميل لك .. وما هذا الباب الذي يقع في نهاية
المشى ؟

- إنها غرفة خادمي "بيير" .

وكان "لوبيين" يعتقد ان "بيير" لابد ان يكون قد خبا "مدرسن" في غرفته ما دام لم يخبئه في الغرف الأخرى .

وقال "فون بوهيم" :

- غرفة "بيير" .. هيه ! ليت شعري اهي جميلة كسائر غرف اليخت ومضى إليها .

وقف "لوبيين" عند الباب وقد نمت سحنته عن عدم الاكتراث إذ ايقن ان اللحظة الحاسمة قد دنت بل لقد وضع يده على جيبه استعدادا لمقابلة الطوارئ بمسدسه . ولم ينتبه إلا على صوت "بوهيم" وهو يقول :

- هذا بديع !

فلحق به إلى داخل الغرفة .. وادھشه انه لم ير "مدرسن" فيها!

- يخت جميل جدا .. أهذا كل شيء ؟

- نعم كل شيء .

- وهذا ؟

- هذا هو العنبر .

- عنبر بديع جدا .. إذن فلديك عنبر في اليخت ؟

وكان العنبر هو المكان الوحيد الذي لم يتفرج عليه "فون بوهيم" .. فكان بالتأكيد هو المكان الوحيد الذي حبس فيه "مدرسن" وارتقى "فون بوهيم" السلم المفضي إلى العنبر ففتحه ونظر في داخله وأخرج "لوبيين" من جيبه منديلاً مسح به جبينه الذي كاد يتصبب عرقاً .

ولكن "مدرسن" لم يكن موجوداً في العنبر !

وقال "فون بوهيم" :

- إنني أسف جداً .. يظهر ان شدة إعجابي جعلتني لا اقيم وزناً للوقت الذي ضيعته عليك .. وما كان ينبغي ان اقوم بزيارتي في مثل هذه الساعة المتأخرة . ولكنني أؤكد لك ان هذه الزيارة في نظري ثمينة إلى أقصى حد .. وقد افادتني من كل الوجوه .

وضغط جملته "من كل الوجوه" وهو ينطق بها .

ودعا "لوبيين" إلى قاعة الاستقبال ليتناول قحداً آخر من الشراب ولكنه اعتذر قائلاً :

- حسبي ما ضيعت من وقتك .. إذن سنلتقي غداً في سانت بيتر ؟

- نعم .. وارجو أن اصل في موعد الشاي .
وما كاد "فون بوهيم" يتعد بقاربه حتى هرع "لويين" إلى خادمه
"بيير" وقال له :

- تعال أيها الشيطان .. أين أخفيت "مدرس" هل القيته في البحر ؟
- لا .. ولكني سمعت ضيفك وهو يطلب أن يتفرج على اليخت فأدركت
دقة الموقف وكنت قد أخفيت "مدرس" في العنبر فأسرعت إليه وجذبت
الشراع وشدته إليه ثم جذبت الحبال فانطوى الشراع عليه .
- أتريد أن تقول : إن "مدرس" مخبأ داخل الشراع ؟
- نعم يا سيدي .. ولعلك لاحظت أن الشراع مطوي وقد كان منشورا
من قبل .

فربت "لويين" على كتفه وقال :
- إنك أعجوبة دهر !.. ولكن ألم يرك البحار الذي كان في القارب ؟
- كلا . فقد كان في الناحية الأخرى من اليخت .
- إنك مدهش ! كان في نيتي أن أقتلك يوما بأن أفرغ في صدرك عشر
رصاصات .. أما الآن فساكتفي بثلاث !
ثم أردف قائلا :

- والآن اذهب وعد إلي بـ "مدرس" .
ورجع "بيير" وحده متجههم الوجه منقلب السحنة فقال له "لويين":
- ماذا دهاك ؟ إن من يراك قد يحسبك بجاجة توشك أن تبيض ولكن
أين "مدرس" ؟

فكان الجواب :
- لم أجده في الشراع .. لقد هرب !

الفصل السادس عشر

نهض "لوبيين" واقفا في بطنه وقال مرددا :

- هرب ؟

- نعم يا سيدي .

وخرج "لوبيين" إلى ظهر اليخت وأرسل بصره إلى الشراع المطوي الذي خبا فيه "بيير" الأسير فالفاه مشقوقا شقا يفسح ثغرة يخرج منها الرجل فلم يكن الأمر بعد هذا في حاجة إلى إيضاح . إذ لا ريب أن "مندرسن" استفاق من غيبوبته في أثناء طواف "لوبيين" بضيفه فشق الشراع بمطواته وقفز إلى ظهر اليخت وتسلل هاربا .

على أن فكرة أخرى طرات على بال "لوبيين" .. ألا يحتمل أن يكون البحار الذي في القارب قد رأى "بيير" وهو يطوي الشراع على "مندرسن" فانبأ "قون بوهيم" بالأمر عندما نزل إلى قاربه فداروا حول اليخت ومزقوا الشراع وخطفوا "مندرسن" ؟ ولكنه ما لبث أن استبعد هذه الفكرة حين حسب حسابا للوقت إذ رجح لديه أن الدقائق القليلة التي مضت منذ انصرف "بوهيم" لا يمكن أن تكفي للدوران حول اليخت والتسلل إليه واختطاف "مندرسن" .

وتمتم "لوبيين" يقول :

- لا فائدة من اللحاق به إلى الشاطئ فإننا في وقت الجزر والأرض قريبة منا .. وأغلب الظن أنه استطاع أن يبلغ فندقه .

وضايقة فرار "مندرسن" لأنه كان بتصرفاته الحمقاء كفيلا بأن يفسد خططه ويعكس أغراضه . فما العمل لاتقاء هذه النكبة التي ينتظر أن تحل به بفضل "مندرسن" وحماقته ؟

وهنا طرات بباله فكرة ثانية .. ألا يحتمل أن يكون رجال "بوهيم" الذين كانوا في القارب قد رأوا "بيير" وهو يخبيء "مندرسن" في الشراع فلما انبثوا سيدهم بالأمر في عودته إلى اليخت لم يفكر في أن يرتد ثانية إلى "لوبيين" وإنما تابع سيره متظاهرا بأنه يجهل العلاقة التي بين "لوبيين" و "مندرسن" وغرضه من ذلك واضح وهو ألا يجعل الشك يتسرب إلى صدر "لوبيين" حتى إذا لبى دعوته في الغد وذهب إلى يخته

في ميناء سانت بيتر أمكنه أن يتخلص منه إلى الأبد ، إذ إن "لويين" سيذهب إلى اليخت وهو خالي الذهن من أن "بوهيم" يعرف الحقيقة . فكر في الأمر طويلا وجعل يتصور الموقف .

سيعرف "بوهيم" أن "لويين" لا يعرف أنه عرف . ولن يعرف "لويين" إذا كان "بوهيم" عرف أو إذا كان يعتمد على أن "لويين" يعرف أن "بوهيم" لا يعرف أنه عرف . وسيظل "بوهيم" يتساءل عما إذا كان "لويين" عرف أنه عرف أنه لم يعرف .. أم لا ؟ إن المسألة فيما يظهر كالارقام الدائرية التي لا تنتهي . ولكن النتيجة التي لا شك فيها هي أن "لويين" يمكن أن يذهب إلى ميناء سانت بيتر وهو يعتقد أن "بوهيم" لا يعرف بصفة مؤكدة إذا كان "لويين" عرف أنه عرف كما أن "بوهيم" يمكنه أن يوجه الدعوة إلى "لويين" دون أن يجروا هذا على الرقض وإلا كان في رفضه اعتراف بأنه عرف أن "بوهيم" عرف أنه عرف أن "بوهيم" عرف .. أو العكس بالعكس .

وشعر "لويين" بأن رأسه دار وأن عينيه غامتا فاقطع عن التفكير في هذه المعضلة الملتوية .. وقرر أن ينام فورا ليريح رأسه من هذا العناء . وعندما استيقظ في الصباح جلس على ظهر اليخت يتناول الفطور وحين أرسل بصره إلى اليخت بلومبرج رأى رجلاً جالساً على ظهره وفي يده منظار مصوب إليه . فاقن أنه صار في عداد المشبوهين وأنهم يراقبون حركاته وسكناته ولعلمهم يعتقدون أن "مدرسن" سيظهر في اليخت .

وما كاد اسم "مدرسن" يخطر ببال "لويين" حتى أدرك الخطر المحدق بـ"جوان بارلو" . إن "جوان" لا تعرف أن بعض أفراد العصابة قبضوا على "مدرسن" بالأمس وإنهم رأوا وجهه ، فأي اتصال لها بهذا الشرطي الأمريكي كفيل بأن يجعل "بوهيم" يتأكد من أن "جوان" تتجسس عليه .

واستقر عزم "لويين" على أن يبادر إلى فندق أوتيل دي لامير لكي يخطر "جوان" بحقيقة الموقف لكي تعدل عن الذهاب إلى يخت "بوهيم" فامر "بيير" بإنزال القارب إلى البحر ووثب إليه وشرع يجدف متجها إلى الشاطئ .

وبينما كان في طريقه إلى الفندق إذ لمح "مدرسن" فجأة مقبلا عليه

وهو ينتزع قدميه من الرمال انتزاعا .

نظر إليه "مدرسن" نظرة تنطوي على التحدى .. ولكن "لوبين" تجاهله وتابع سيره إذ كان يعلم أن اليخت سيقلع في الساعة الحادية عشرة وكان لابد له أن يلتقي بـ"جوان" قبل أن تمضي إلى اليخت حتى يثنيها عن الذهاب اتقاء للخطر الذي يتهدها .

وقال "مدرسن" يسأله في تهكم :

- يظهر أنك لا تعرفني يا "لوبين" ؟..

فقال له "لوبين" في حنق وهو يصصر على أسنانه :

- بودي أن أقول لك شيئا . ولكنني أخجل أن أكشفك به أمام هؤلاء الناس جميعا .

فهز "مدرسن" كتفيه وقال هازئا :

- إنك فيما أعرف تجيد الكلام بالكلمات أكثر مما تجيده باللسان .

- هذا لأن الحديث بالكلمات هو الوسيلة لاقتناع أمثالك من ذوي الإدمغة العنيدة .

- إذا كنت شجاعا فالكمني الآن . فإنك إن حاولت أن تلكنمني جاء هذا الشرطي الذي يتمشى على الإفريز ليستفسر عما حدث... وعندما يأتي ساقص عليه الشيء الكثير عنك .. اسمع يا "لوبين" ... دعك من التدخل في هذه المسائل وإياك أن تسافر إلى سانت بيتر وإلا فالويل لك !
فقال "لوبين" :

- إنني مقدر نصيحتك حق التقدير ، ولكن دعني أصلح لك رباط عنقك .
وفي نفس اللحظة تحركت يد "لوبين" بسرعة البرق فأصابت ذقن "مدرسن" بكلمة عنيفة جعلته يترنح ويقع على الأرض قبل أن يشعر أحد من الذين يتريضون على الشاطئ بما حدث .

وكان "لوبين" أول من خف إلى نجدة "مدرسن" . فأنحنى فوقه وجعل يروح على وجهه بمنديله .. وأسرع إلى "لوبين" أقرب الواقفين إليه فقال له هذا :

- لقد أصيب بضربة الشمس .

فقال القادم :

- الواقع أن الحرارة شديدة اليوم .

وهكذا سرت الفكرة بين الذين احتشدوا حول المغمى عليه إن المسكين
أصيب بضربة شمس . وقال أحد الحاضرين :

فلنعمل له التنفّس الصناعي ..

فأجابه "لويين" :

- تفضل .. تفضل .

ووكل إليه مهمة تنبيه "مدرسن" من إغمائه وأسرع إلى الفندق .

ولكن قبل أن يدخل إليه وقف جامدا مكانه وقد تستر بأحد الأعمدة ..

لقد فات الألوان ولم يعد هناك مجال لإنقاذ "جوان" .

وذلك أنه رأى "جوان" خارجة من الفندق وإلى جوارها "فون بوهيم" ..؟

الفصل السابع عشر

نشر اليخت كورسير قلاعه واخذ يشق طريقه في البحر متجها إلى ميناء سانت بيتر تدفعه الرياح ويتولى إدارة دفته "أرسين لوبين". وكانت الرياح قوية مواتية ساعدت على سرعة السير وضاعفت من رجاء "لوبين" في أن يصل إلى الميناء في موعد الشاي . ولكن مهما بلغت مهارته في القيادة .. ومهما واثقه الرياح .. فإنه سيصل حتما بعد وصول اليخت بلومبرج ببضع ساعات إذ كيف تقاس سرعة المحركات بتلك الوسائل السانجة التي لا تعتمد إلا على الشراع . وكان طول الرحلة بتدبير الموقف ويقلب الرأي على وجوهه المختلفة .. لقد رأى "جوان" في رفقة "قون بوهميم" .. ومن المؤكد أنها الآن على ظهر اليخت .. ولكن هبه سال عنها فهل هناك أسهل من أن يكون الجواب : - لقد عدلت عن الحضور .. أو لقد زلقت قدمها فسقطت في البحر واستحال إنقاذها .

وسيجد "قون بوهميم" عشرات من رجاله يقسمون معه على أن هذا هو ما حدث .. والرجل الذي قتل من قبل ثلاثة رجال دون أن ترقى إليه الشبهات أيعجزه اليوم أن يقتل هذه الفتاة المستضعفة..؟ ولما وصل "كورسير" إلى الميناء ألقى اليخت بلومبرج قد سبقه إليها وألقى مراسيه فيها فدعا "لوبين" إليه خادمه "بيير" وقال له : - عليك أن تراقب هذا اليخت . ولكن دون أن تدعهم يلحظون أنك تراقبهم .. وإذا رايت الفتاة تغادره . أو إذا رايت صندوقا أو طردا أو لفافة يمكن أن تتسع لجسم فتاة فاعلم أين ذهبوا بها .. أفهمت ؟.. - تماما يا سيدي .

نزل "لوبين" إلى الشاطئ وقصد إلى مكتب البضائع فوجد أن في انتظاره طردين جاءا من لندن فأمر أحد الحمالين بأن يذهب بهما إلى اليخت إذ كان هذان الطردان هما بذلتا الغوص اللتان عهد إلى صديقه "كولمان" بأن يبتاعهما .

وفي مكتب البريد وجد في انتظاره برقية هذا نصها :
"العرض ٤٩ - ٦١ - ٥٦ شمالا - والطول ٣ - ٢٣ - ٤٥ غربا "سكنون

في فندق رويال قبل وصولك فقابلنا هناك . الجو هنا بديع وإن كان الضباب شديدا - إنني مشتاق إليك . إنك أنت الذي ستدفع أجر هذه البرقية ولذلك سمحت لنفسى بالإسهاب والتطويل دون داع ساحضر ومعى "جيلبرت" .

"كولمان"

كانت الأبعاد التي تضمنتها البرقية تبين على وجه الدقة المكان الذي غرقت فيه الباخرة شلفونت التي يسعى "فون بوهيم" إلى السطو على شحنتها الذهبية المقدرة بخمسة ملايين من الجنيهات. وقد استقى "كولمان" هذه البيانات الدقيقة من شركة "لويدز" عن طريق أحد أقاربه الذين يعملون فيها .

دس "لوبيين" البرقية في جيبه ومضى مبتهجا جذلا . فقصده من فوره إلى فندق رويال ووجد هناك صاحبيه "كولمان" و "جيلبرت" في انتظاره فلم يبد عليه أنه يعرفهما وإنما قصد من فوره إلى البار واستوى على أحد المقاعد وطلب قدحا من الشراب .

أقبل "كولمان" على عامل البار وقال له :

- أرجوك أن ترسل زجاجة من الشراب إلى غرفتي قبيل العشاء.. إن

غرفتي هي رقم ١٥ .

ونظر إلى الساعة المعلقة على الجدار وقال يخاطب عامل البار :

- اهذه الساعة مضبوطة ؟

- أظن ذلك يا سيدي .

فتظاهر "لوبيين" بأنه يضبط ساعة يده وقال :

- لا يزال هناك وقت كاف فإنني على موعد في الساعة السابعة تماما

وواضح أن "كولمان" قصد بجملته أن يسمع "لوبيين" أن غرفته هي رقم ١٥

كما أن "لوبيين" قصد أن يسمع "كولمان" أن موعد لقائهما سيكون في تمام الساعة السابعة .

جلس "لوبيين" يدخن ويحتسي قدحه .. ولاحظ أن هناك رجلا جلس على مقربة منه ولا يكاد يرفع بصره عنه فأدرك أنه جاسوس جديد يتعقب خطواته فتظاهر بأنه لم يلحظ وجوده ولم يشعر بأن هناك من يراقبه .

وبعد فترة من الوقت طلب "لويين" قدحا من الشراب ثم سأل عامل
البار عن غرفة التواليت فوصفها له فغادر "لويين" مكانه وصعد خلسة
إلى الغرفة رقم ١٥ .. وبعد دقائق ... في تمام الساعة السابعة فتح
الباب وبخل "كولمان" يتبعه "جيلبرت" .

كان "لويين" مستلقيا على الفراش وهو مغمض العينين ، فنظر إليه
"كولمان" وقال باسمه :

- مسكين .. إنه مستغرق في النوم .

فقال "جيلبرت" :

- معذور .. فلا شك أنه كان يسهر مع الحسنة حتى الصباح . وقال

"كولمان" :

- اظن أننا لووثبنا على صدره فهناك أمل في أن يستيقظ .

- اظن ذلك .

ووثبا على صدره .. ففتح "لويين" عينيه وقال :

- كاني بكما وحشان هائجان .. تأدبا أيها الأحمقان واسمعا قصتي

فإنها قصة طريفة .

- أفيها مليون من الجنيهاات ؟

- بل فيها عدة ملايين .

- تكلم إنن .

وتكلم "لويين" .

الفصل الثامن عشر

قال "كولمان" وقد فرغ "لوبيين" من سرد حكايته :

- إذن فهذه هي الحكاية .

وكان الشابان ينظران إلى زعيمهما بعيون تتألق . وقد تنبهت في جسميهما كل جارحة من جوارحهما وتحفزت للوثوب وخيل إليهما أن الدنيا استردت بهجتها وأنوارها المتلألئة وزايلها هذا الجمود الذي عراها زمنا طويلا .

لقد رجعت الأيام الحلوة القديمة .

واسترسل "لوبيين" قائلا :

- فالمسألة كما تريان ليست في جمع الأدلة فقط ضد "فون بوهيم" إذ إن الحكم عليه بالسجن لا يعود بأية فائدة على شركات التأمين .. أعني عن الماضي .. فليس يهم هذه الشركات أن يزج "بوهيم" في السجن وإنما يهمها أن تسترد جانبها من الأموال التي استولى عليها . ويهم "أنجربيك" أن ينال عمولة . ويهمنا نحن ...

فقال "كولمان" مقاطعا :

- يهمنا نحن أن نحصل على عمولتنا .. أما أنت فيهمك أن تحصل على الفتاة .

فنظر إليه "لوبيين" في عتاب ثم قال :

- إن الأمر واضح لا يحتاج في فهمه إلى عناء .. إن شحنات السفن الغارقة مؤلفة عادة من السبائك الذهبية . أو من الماس الخام . والتخلص من السبائك أو الماس الخام ليس بالأمر الهين . فمن المؤكد أن "بوهيم" يكنز هذه السبائك في مكان خفي حتى إذا مرت سنوات أمكنه أن يتخلص منها .. فعلينا أن نهتدي إلى هذا المخبأ السري .

فقال "جيلبرت" متسائلا :

- وما الطريقة ؟

- انضمنا إلى بحارة "فون بوهيم" وإذا ما ذهب ليضم إلى كنزه سبائك جديدة فاقتفيا أثره .. أو اتخذنا أية خطة شئتما ما دمنا قد فهمنا الغرض الذي أرمي إليه .

وقال كولمان :

- كل شيء واضح عدا ما يتعلق بالبطة الحسنة .

- إنها تحاول أن تصل إلى "بوهيم" عن طريق قلبه .. هذا إذا كان له قلب يحس ويشعر .. وهذا هو السبب في أنها رافقته اليوم في رحلته .
ومما يؤسف له أنني وصلت بعد فوات الوقت فلم يكن في وسعي أن أحول دون ذهابها . وعزائي أنني كنت أتوقع إصرارها على الذهاب مهما حاولت أن أقنعها .

وساد صمت قصير قطعه "لوبين" بقوله :

- والآن كيف يتم الاتصال بيننا ؟ إن مقابلتنا تنطوي على خطر جسيم فإن جواسيس "فون بوهيم" يتعقبون خطواتي . ولست أريد أن انفصلهم عن أثري لأنني في المرتين السابقتين جعلتهم يعتقدون أن الأمر جاء عفواً غير متعمد . فالراي عندي أن يتردد أحدهما على هذا الفندق باستمرار فقد تجدان رسالة في انتظاركما .. وإذا تعذر علي إرسال الرسائل بهذه الطريقة فسأعلق دلو كبيراً في مكان ظاهر في اليخت .. فلتفهما من ذلك أنني سأبعث إليكما برسالة بواسطة الإشارات ، إنكما لم تنسيا بالتأكيد طريقة التخاطب بواسطة أوراق اللعب .. هذه هي كل تعليماتي .

- أهناك شيء آخر ؟

- لا .. ولكن يحسن أن نضيف أن الأستاذ "ماركو" سيجرب غرفة الفوص الجديدة في الغد وقد دعيت إلى مشاهدة التجربة .

فشهق كولمان وقال :

- ولكنك لن تذهب بالتأكيد ؟

- بل سأذهب بالتأكيد .. فإن من الغباوة أن أنبذ هذه الفرصة النادرة ولا تنس أن "بوهيم" لا يعلم ضدي شيئاً معينا .. كل ما في رأسه شبهات لا تستند إلى أساس فإذا أنا رفضت دعوته ضاعف ذلك ريبته في أمري وفضلاً عن هذا يجب أن أذهب لأن ..

فقال كولمان ضاحكاً :

- لأن الفتاة هناك !

- كلا أيها الغبي .. بل لأنني قد اكتشف شيئاً .

- نعم .. ستكتشف العالم الآخر بالتأكيد .

فهز "لوبيين" كتفيه في غير احتفال وقال :

- فليكن .. إن الموت قضاء لا بد منه . وسواء ذهبت أو لم اذهب فإن "بوهيم" لن يدعني أفلت من انتقامه . وليس من شيمتي أن أنكص أو اتراجع .

وارتسم على شفتي "لوبيين" تلك الابتسامة المعهودة التي تنطوي على الاستهتار .. تلك الابتسامة التكهمية الرائعة التي طالما بثت في نفوس رفاقه شجاعة لأحد لها .

ونفض "لوبيين" واقفا ثم قال :

- والآن وداعا .

ورجع إلى البار حيث كان قد ترك الجاسوس في انتظاره فلما منه أنه ذهب إلى غرفة التواليت .

وما رأى الجاسوس "لوبيين" مقبلا حتى تهلل وجهه إذ ظن حين طال الوقت أن ذهابه إلى غرفة التواليت خدعة أراد بها أن يتملص من مراقبته .

غادر "لوبيين" الفندق ومشى متجها إلى الميناء وهو يسال نفسه عن مصير "جوان بارلو" .. إنها الآن على ظهر اليخت فهل تراها حرة طليقة .. أم سجينه حبيسة ؟ أم أن الأمر لا هذا ولا ذاك وإن "فون بوهيم" قتلها ؟

وسرت الرعدة في أوصاله عندما طاف هذا الخاطر بذهنه . ولكنه ذكر عند هذا تلك الكلمات النارية الملتهبة التي القاها "بوهيم" إلى الفتاة وهما على ظهر اليخت حين كان "لوبيين" رابضا فوق سطح غرفة الآلات . كانت هذه الكلمات تدل على أن "بوهيم" مفتون بالفتاة وأنه يحبها .. أو على الأقل يشتهيها . فما دامت هذه الرغبة الجارفة مستولية عليه قائمة في نفسه فمن المحال أن ينزل بها الأذى .. كل ما هنالك أنه سيرغمها على البقاء في يخته شبه سجينه يعتصر شبابها ويستمتع بجمالها .. فإذا ما تضاعلت رغبته فيها وخمدت جذوته لم يكن ثمة ما يحول دونة والفك بها .

وخالجه الاطمئنان حين عرف أن "جوان" ستظل في أمان من انتقام .

‘بوهيم’ ولو فترة من الوقت .
وانتبه بغثة من خواطره على صوت يقول له :
- طاب مساؤك يا مسيو ‘كوشيه’ .
وحين التفت وجد ‘نون بوهيم’ أمامه وإلى جانبه ‘جوان بارلو’
و‘فارين شلنبرج’ !

الفصل التاسع عشر

طفر قلب "لوبيين" فرحا حين رأى "جوان بارلو" أمامه .. وود لو استطاع أن يهتف أو يرقص . ولكن وجهه على الرغم من انفعاله العنيف ظل جامدا لا ينم عن شيء إذ كان يعلم أن هناك عيوننا أربعا ترقبه وتتفرس فيه .

وقال مخاطبا "فون بوهيم" :

- كان في نيتي أن أذهب إليك الآن .

- وأنا أيضا كنت أتساءل في نفسي عن مكان وجودك فقد سألت عنك في يختك فانباني خادمك أنك نزلت إلى الشاطئ .. أكانت رحلتك طيبة؟ - نعم .

- لقد فكرنا في أن نتغدى في أحد المطاعم بدلا عن اليخت على سبيل التغيير .. ولكن دعني أولا أقدمك إلى من معي .. هذا هو صديقي مسيو "كوشيه" .. الأنسة "بارلو" .. ومسيو "شلنبرج" .

فحياهما "لوبيين" واغتنم الفرصة لينظر إلى وجه "شلنبرج" فراه لا يزال متورما من أثر اللكمات الهائلة التي نالها من قبضته فأسالت الدماء من أنفه وفكه .

وقال "فون بوهيم" :

- لقد بذل لنا مسيو "كوشيه" معونة كبيرة في مطاردتنا لذلك الطارق الليلي الذي تسلل إلى اليخت .

- ولكني لم أفعل شيئا يذكر .

- إنك صبرت على الأقل على فضولنا وتهجمنا عليك بالأسئلة .. والآن هل لك في أن تتناول معنا العشاء؟

وما كان "لوبيين" يتمنى شيئا غير هذا ، فاجاب بالقبول على الفور وأردف قائلا :

- ولكن أين الاستاذ "ماركو" .

- لقد رفض أن يصحبنا فإنه الليلة منهمك في العمل استعدادا لتجربة الغد .

تناولوا العشاء في أحد المطاعم الفخمة .. ولاحظ "لوبيين" أن "بوهيم"

و "شلنبرج" لا يحاولان مطلقا ان ينظرا إليه خلسة أو ان يراقباه ، بل ارادا ان يشعراه بسلوكهما انهما لا يرتابان في أمره .

واخذ "لوبيين" يسال نفسه عما إذا كان "شلنبرج" قد أدرك ان هذا الرجل الجالس إزاءه هو الذي أسال الدم من فمه بالأمس ؟. وهل يعرف "بوهيم" يا ترى أنه هو الذي وثب عليه من سطح الغرفة وركله بقدمه في وجهه فأوقعه على الأرض ؟. وأي شيء يعرفان عن "جوان" وهل كشفها سرها ؟. أم ان الأمر عندهما لا يعدو مجرد الشبهة التي لا تستند إلى دليل ؟. وهل يا ترى أساء إليها "بوهيم" ، أم لا يزال يكرمها ويحترمها ولم يكشف لها من نيته ما يبطن ؟.

كان ينظر إليها من حين لآخر وما يستقر بصره على وجهها إلا شعر برغبة جارفة تسري في أوصاله وتسيطر على أعصابه . كان يتمنى ان يحتويها بين ذراعيه ويضم جسمها اللدن الغض إلى صدره ويطبق على شفتيها الحمراوين بشفتيه الملتهبتين يعتصرهما ويستقي منهما قبلة تهدىء من ثورة أعصابه وتشيع في نفسه رغبات الحب التي تهزه هزاً .

كان لا يراها إلا تمنى لو خلا إليها دون العالم فاصغى إلى همساتها .. ومناجاتها .. وصوتها العذب الحنون .. فتسمعه في حديثها أعذب ما انفرجت عنه الشفاه .

وأخيرا ألقى نفسه يرقص معها .

فبعد العشاء عزفت الموسيقى تدعو الجالسين إلى الرقص فنهض "بوهيم" ودعا الفتاة إلى مراقصته ، ثم دعاها "شلنبرج" بدوره . وأخيرا نهض "لوبيين" وتقدم إليها فاحتواها بين ذراعيه وأخذ يدور بها الحلقة . ومال إليها يهمس في أذنها قائلاً :

- مضى دهر طويل لم أرك في خلاله .

فقالت باسمه :

- إنني أذكر ان آخر مرة التقينا فيها كانت وأنا طفلة أحبو .

- أما أنا فأذكر اننا التقينا آخر مرة حين كنت طفلاً أمص أصبعي

وضحكت "جوان" .. وضحك "لوبيين" .

ثم أرفف قائلاً :

- ألم تسمعي تلك القصة العجيبة التي حيرت العالم ؟.

- أية قصة ؟.

- لقد وضعت إحدى النساء طفلاً له عينان .

- واية غرابة في هذا ؟ ألم تسمع أنت بقصة ذلك الطفل الذي ولد وله أنف في وجهه ؟.

- حقاً !. ما أعجب هذا !.

وضحك الاثنان للمرة الثانية ضحكة جذابة كأنما لا يتهددهما الموت
وقال "لوبين" فجأة :

- ألم أخبرك من قبل أنك جميلة ؟.

- كلا . وأكبر ظني أنك لم تلاحظ ذلك إلا الآن .

- هذا لأنني كنت أفكر في ذلك الحلم الرهيب الذي حلمته الليلة .

- أي حلم ؟.

- رايتك سجينة في غرفة خالية من الأبواب والنوافذ فدخلت إليك !.

- وكيف دخلت وليس للغرفة باب أو نافذة ؟.

- لا أدري .. كل ما أعرف هو أنني دخلت إليك وأنقذتك في اللحظة
التي رايت فيها جلاداً يهم بأن يهوي على عنقك بسيفه .

وكانا في أثناء ذلك يدوران في أرجاء القاعة الحافلة بالراقصين
والراقصات حتى إذا اقتربا من باب الشرفة المنفضي إلى الحديقة
اجتذبتها "لوبين" إلى ناحيته ومرقاً منه قبل أن يفتن أحد إلى
خروجهما .

هبطاً إلى الحديقة فجلسا على أحد المقاعد ونظر "لوبين" إلى وجهها
وقال :

- والآن ؟.

- فابتسمت في ببطء وقالت :

- والآن ؟.

- كنت أتوقع لك الموت .. أو العار .. فأيهما حل بك ؟.

- سيحل بي كلاهما فيما اعتقد .

فلمس وجنتها في رفق وقال :

جسبي أنك لاتزالين على قيد الحياة فهزت رأسها وقالت :

- إن في كل دقيقة نمضيها هنا خطرا علينا فدع الهزل وحدثني بما وقع بالأمس .

فقص عليها ما كان من اختطافهم "مندرسن" وكيف رجع هو ثانية إلى اليخت فانقذه من الغرفة السرية وقال :

- وليست أدري إذا كانوا قد عرفوا أنه هو الرجل الذي زارك في الفندق أم لا .

- وماذا كان من شأنك أنت ؟

- زار "بوهيم" يختي بعد فرار "مندرسن" بقليل وأصر على التفرج عليه ، ولكن خادمي "بيير" خبا "مندرسن" في الشارع فلم يكتشف "بوهيم" وجوده على الرغم من أنه فتش كل ركن في اليخت تفتيشا دقيقا بحجة الفرجة .

ثم روى لها كيف هرب "مندرسن" من الشارع وكيف أنه (اي لوبين) ذهب إلى زيارتها في الفندق في الصباح ليحذرهما من الذهاب إلى اليخت وكيف التقى بـ"مندرسن" وكيف تخلص منه .

وقالت الفتاة في لهجة بطيئة :

- لقد زارني "مندرسن" في هذا الصباح .

فنظر "لوبين" في عينيها وفهم ما يتالق فيهما من معنى فقال :

- وحاول أن يقتنع باني لص محتال وأني أخدعك لا لكي أسلم إليك "بوهيم" وإنما لأحل مكانه .

فحملت إلى وجهه وقالت :

- وكيف عرفت هذا ؟ أكنت تسترق السمع ؟

- لا .. ولكنني بارع في قراءة الأفكار .. ولا أكتم عنك أنني لص وأنه

كان في نيتي أن اختطف "مندرسن" حتى أتخلص من حماقته التي توشك أن تفسد خططي وتكاد تلقي بي وبك إلى التهلكة .. ولكن

خبريني .. أصدقت مزاعم "مندرسن" عني ؟

فحننت رأسها في ببطء وقالت في صوت خافت :

- نعم .

- ومع ذلك حضرت إلي وسمعت أقوالي !

فاغمضت عينيها وقالت :

- هذا لاني احبك !

فاجتذبتها "لوبين" إلى صدره وهمس في اذنها يقول :

- وأنا ايضا احبك !

- أيها الكذاب العزيز !

ثم هزت كتفها في غير اكتراث وقالت :

- ولكني لا ابالي .. غدا ستسيء إلي يا "لوبين" .. وغدا اندم ويدركني

الأسف .. ولكنني مع ذلك لن ابالي .. إنني سعيدة فحسبي حاضري ..

حسبي الليلة ! أما الغد ...

وهزت كتفها فقال "لوبين" في صوت متهدج :

- وهل من غد هناك !

نهضت "جوان" واقفة وقالت :

- فلنرجع إلى القاعة .

ومشيا صامتين في خطوات بطيئة متمهلة . وكان القمر يتوسط

السماء والنجوم زاهية متألقة .

ولما بلغا أسفل الدرج همس "لوبين" قائلاً :

- دعيني أقبلك !

فنحت وجهها عنه وقالت :

- هاك يدي فقبلها !

فرفع يدها إلى شفتيه وطبع على أناملها قبلة بطيئة عميقة كأنه عابد

يقبل صنمه المقدس !

الفصل العشرون

حين رجع "لوبين" إلى المائدة نفّض عن نفسه ما ظل عالقا بها من آثار تلك اللحظات الجنونية التي أمضاها في الحديقة في رفقة "جوان". فارتد كما كان ذلك المغامر الجريء الذي لا يحفل بالدنيا ولا يابه لها .. ذلك الرجل الذي وثب في ظلمة الليل إثر دوي رصاصة سمعها ليستقبل ما قد يتكشف عنه الليل من مخاطر وأهوال .. ذلك المجازف الذي يلعب الآن لعبة لا يمكن أن تفضي إلا إلى الموت .

ادار "لوبين" بصره في أرجاء المكان وقال :

- لو أنني كنت مكان الأستاذ "ماركو" لطويت أوراقى وكتبتى وحضرت لأمضى السهرة في هذا المكان البديع .
فقال "فون بوهيم" مجيباً :

- إن للعلماء ولعا عجيبا بأعمالهم . والدراسة العلمية في نظرهم ترجح على أعظم المتعات .. بل إنها عندهم هي المتعة الكبرى .. على أنى مع هذا اشاطره قلقه وانزعاجه .. فلو أن هذه التجربة اخفقت لكان اتعس الناس . غير أنى استبعد هذا الإخفاق .. إنك ستوافقنا في الغد . أليس كذلك ؟. إننا سنرحل في ساعة مبكرة ، فهل لك أن توافينا إلى اليخت في الساعة التاسعة ؟.

واخذوا يتباحثون في شأن الرحلة فترة من الوقت . ثم نهضوا للانصراف .

أخذ "لوبين" يتابع الفتاة ببصره وهو حالم ذاهل .. خيل إليه أن الدنيا ليست هي الدنيا وأن الناس قد استحالوا إلى جمادات لاحس لها ولا شعور .. خيل إليه أنه هو الإنسان الوحيد في هذا العالم .. الإنسان الذي له قلب ينبض . ويشعر . ويجب . إنه يحب "جوان" فهل في الدنيا شعور أشد طغيانا من هذا وأعمق أثراً ؟ وأولئك الذين لا يحبون "جوان" أو الذين لم يروها ولم يعرفوها . أو الذين راوها وما حفلوا بها . أتراهم من البشر ؟ أتراهم يستحقون الحياة ؟. إنهم أشبه بالحيوانات السائمة التي لا تعرف عن الدنيا إلا أنها مرعى للطعام أو الشراب !.

لقد خرجت إليه "جوان" من البحر كأنها حورية تستلب اللب وتدير

الراس .. خرجت إليه من الضباب فجعلته يكفر عما جنى ويتوب عما أجرم . لقد احتواها بين ذراعيه وقبلها فكانت قبلتها أكبر نعمة شعر بها في حياته .

ظلت هذه الخواطر وأمثالها تدور في رأس "لوبين" حتى بلغ يخته . ولكنه انتبه منها فجأة على صوت عجيب .. صوت يشبه شخير النائم ... يشبه التنفس المرتفع .. بل يشبه فحيح الأفاعي . وقف "لوبين" على رأس السلم المفضي إلى بهو اليخت يرهف السمع ليتبين مصدر الصوت .. وأدرك أن هناك خطراً يربض في الظلام .. خطراً يتوثب ويتحفز للانقضاض .

ومد يده في خفة وسرعة فتناول وتداً من الحديد وهبط السلم متسلحاً به وهو لا يزال مصيخاً سمعه .

واتجه إلى مصدر الفحيح الذي سمعه .. وكان يمشي متسللاً على أطراف أصابعه .. وعرف أن الفحيح أت من قاعة الاستقبال .. كانت القاعة مضاعة والنور ينبعث من تحت عقب الباب .

ووضع "لوبين" يده اليسرى على مقبض الباب .. وأداره . ورفع يده اليمنى التي يمسك بها الوند .. ثم دق الباب دفعة واحدة ووثب إلى الداخل متحفزاً إلى معركة .

ولكنه جمد في مكانه لا يتحرك ! كان يتوقع أن يجد في القاعة حية هائلة من نوع الكوبرا أرسلها إليه "بوهيم" لتكون في استقباله ولكنه لم يجد شيئاً من هذا القبيل .

وإنما وجد خادمه "بيير" طريحاً على الأريكة ! لم يكن "بيير" نائماً يشخر ، ولكنه كان مفتوح العينين والدماء تنبثق من صدره .

أسرع إليه "لوبين" وقال في انزعاج :

- ماذا جرى ؟

فتمتم الخادم الأمين في صوت لا يكاد يسمع :

- لا شيء .

وأرسل بصره إلى ناحية الباب الداخلي للقاعة وهز رأسه ففهم "لوبين" أنه يحذره من عدو كامن وراء هذا الباب الموصد .

وقال "لوبيين" في صوت مرتفع :

- هنا لص ؟ هرب .. فليكن .. يجب أن اهتم أولا بجرحك .. نعم ارفع القميص .. كلا . إن الجرح ليس عميقا .. هل تؤلمك يدي ؟

كان وهو ينطق بهذه الكلمات يبتعد متسللا عن "بيير" ويتجه إلى الباب حتى إذا سمعه الطارق الليلي ظن أنه منهك في معالجة خادمه . اقترب "لوبيين" من الباب وفتحه في حركة سريعة فالقى القاعة المجاورة مظلمة .. ولكن قبل أن يتقدم خطوة واحدة انبعث من ظلام القاعة صوت يقول :

- إياك أن تتحرك وإلا الهبت رأسك بالرصاص !

وجمد "لوبيين" في مكانه إذ كان يعلم أن عدوه المتستر بالظلام أقوى منه في مثل هذا الموقف .

وقال صاحب الصوت المجهول :

- ارجع إلى الخلف .

وتراجع "لوبيين" بضع خطوات مكنت العدو الخفي من أن يتقدم ليدخل القاعة .

تأمل "لوبيين" وجهه الدميم والمسدس الذي في يده وقال باسما :

- إن الصراصير تعيش في الظلام . فهل أنت صرصور ضل الطريق ؟ صاح الرجل وهو يلوح بمسدسه :

- أدر ظهرك إلى ناحيتي .

- ماذا ؟ ألم يعجبك وجهي ؟

- قلت لك أدر ظهرك !

فاطاعه "لوبيين" وهو يهز كتفيه في غير مبالاة قائلا :

- إن الذي في يدك يا بني مسدس يقتل .. فإياك أن تلعب الزناد والا أصابتني الرصاصة ومث قتيلا .. ألم تر يوما رجلا يشنق ؟ إن الشنق يقلب السحنة وإن كانت سحنك مقلوبة بطبيعتها .

فصاح الرجل في صوت متوعد قائلا :

- سانسيك هذا المزاح عاجلا .. ضع على الأرض هذا الوند الحديدي وتقدم إلى الامام خطوتين .

- ولكنني لا أستطيع أن أستغني عن مظلتي .

- قلت لك ضع الودت وتقدم خطوتين .

فانحنى "لوبين" واختار في عناية تامة المكان الذي يصلح لوضع الودت ثم تقدم إلى الامام خطوتين .

فساد سكون قصير قطعه رنين جسم حديدي فعرف "لوبين" ان اللحظة الحاسمة قد حلت .. كان هذا الرنين هو الشيء الذي ينتظره ويتلهف عليه .

كان طبيعيا ان يطلب الطارق الليلي من "لوبين" ان يضع الودت الحديدي على الأرض .. ولكن الذي بدا شاذا غير مفهوم هو ان يطلب من "لوبين" في الوقت نفسه ان يوليه ظهره وأن يتقدم إلى الامام خطوتين .. فما الداعي إلى هذا الطلب الغريب ؟

لقد فهم "لوبين" من ذلك ان الطارق إنما امره بوضع الودت وإدارة ظهره والتقدم خطوتين حتى يتمكن هو نفسه من ان يلتقط الودت دون ان يراه "لوبين" ثم يضربه به على راسه لأن دوي الرصاص ليس بالشيء المأمون .

ولهذا حرص "لوبين" وهو يضع الودت على الأرض ان يسند طرفه على حافة المنفضة المعدنية الموضوعة في ركن القاعة . فإذا ما هم الرجل بان يتناول الودت كان لابد أن تهتز المنفضة فيصدر عنها ذلك الرنين الذي سمعه "لوبين" .. وكان "لوبين" يعرف بالضبط المسافة التي بينه وبين المنفضة .. أي التي بينه وبين الرجل عندما ينحني لالتقاط الودت .

ولهذا لم يكد يسمع ذلك الرنين الخفيف حتى تحركت ساقه اليمنى إلى الورا في قوة وعنف فاصاب حذاؤه وجه الرجل وهو منحني فوق الودت ليلقطه .

وفي اللحظة التالية استدار "لوبين" على عقبيه فرأى الرجل وهو يتدحرج على ظهره وقد وضع يده على وجهه والدماء تنبثق من بين اصابه .

وانقض "لوبين" على الرجل فاشتبك في نضال عنيف ! وكان منتظراً أن يطول هذا النضال ويمتد . لولا أن "بيير" تحامل على نفسه ونزل عن الأريكة فتناول الودت ورفع في يده وانتظر اللحظة المناسبة لكي يهوي به على رأس الرجل .

ترنح الرجل وسقط على الأرض فتلقاها "لوبيين" بين ذراعيه وأرقده على الأرض في رفق وهو يقول :

- لقد كان ولدا طيبا !

ثم أخذ يضمّد جرح خادمه "بيير" قائلا :

- قص علي ما حدث .

فأنباه أن الرجل جاء إلى اليخت في قارب صغير ورفع صوته مناديا فلما خف إليه سألته عن مسيو "كوشيه" فأجابه بأنه ذهب إلى الشاطئ فقال الرجل : "اسمح لي بأن أنتظره لأبلغه رسالة مهمة" وقبل أن يتمكن "بيير" من الإجابة بالفرض أو القبول كان الرجل قد صعد إلى اليخت .. وقبل أن ينبئ "بيير" إلى ما حدث كان الرجل قد ضربه على رأسه بقبضة مسدسه فأغمي عليه فحمله وهبط به إلى قاعة الاستقبال وأرقده على الأريكة .

وقال "لوبيين" يسأله :

- وهذا الجرح الذي في كتفك ؟

- عندما استغفقت من إغمائي وجدت الرجل في القاعة يفتش الدواليب والأدراج فنهضت واقفا في حذر وتناولت مقعدا قذفته به بكل قوتي ولكنه استدار في اللحظة المناسبة ليراني .. وكان مسدسه في يده فعاجلني برصاصة أصابت كتفي .

قال "لوبيين" في نفسه وهو منهمك في تضميد جرح خادمه :

- إذن فهذه الرصاصة لم تطلق على "بيير" عمدا .. وإنما في حالة الدفاع عن النفس .. أعني أن اللص وجد نفسه في مازق حرج فاضطر أن يستعمل مسدسه . ولقد كان في وسعه أن يقتلني وأنا أهبط السلم حين كان متواريا في الظلام بل لقد كان في وسعه أن يقتلني الآن ؟ مسدسه مركب عليها جهاز كتم الأصوات . فلماذا لم يقتلني ؟ .. ولماذا كانت كل مهمته أن يفتش اليخت ؟ .. الجواب عن هذا هو أن "فون فوهيم" لا يزال يجهل حقيقة أمري ولا يزال ينشد عني معلومات قاطعة إما أن يكون هذا الطارق الليلي لصا عاديا من لصوص البواخر فمستحيل إذ إنه عند حضوره سأل عن مسيو "كوشيه" .. وليس ثمة من يعرف أنني انتحل هذا الاسم إلا "يوهيم" وأصحابه .. ومهما يكن من الأمر فهذا

معناه أن الشبهة ضدي لا تزال حتى الآن معلقة لا تستند إلى دليل .
والتفت "لوبين" إلى خادمه قائلاً :

- هل أ حضر أحد الحمالين حقيبتين لأجلي ؟
- نعم .. وهما في البهو .

فذهب "لوبين" إلى البهو فوجد حبال إحدى الحقيبتين ممزقة وقفلها
مهشما وغطاها مرفوعا .. أما الحقيبة الثانية فكانت مهشمة القفل
ممزقة الحبال ولكن غطاها كان لا يزال في موضعه فأدرك أن الزائر
الليلي لم يكن قد أكمل تفتيشه حين فوجيء بقدوم "لوبين" .

إنن فقد رأى الزائر الليلي بذلة الغوص الموضوعة في الحقيبة ... فإذا
أذهب إلى "بوهيم" بهذه المعلومات ففي ذلك البلاء الأكبر ، إذ هو الدليل
على أن "لوبين" يهتم بالسفن الغارقة .. فيجب الاحتفاظ بهذا الرجل
مهما كان الأمر .

وتعاون "لوبين" مع خادمه على تنبيه الرجل من غيبوبته فأخذا
ينضحان وجهه بالماء البارد وينشقانه النشادر وهو جامد في مكانه لا
يتحرك .

قطب "لوبين" جبينه وتفرس في وجه الرجل ثم رفع رأسه قليلا ونظر
إلى جمجمته ... إلى الموضع الذي هوى عليه "بيير" بالهراوة الحديدية .
وهنا أدرك "لوبين" أن الضربة كانت شبه قاتلة وأن الرجل قد لا يفيق
من غيبوبته أبدا .

فتنهد أسفاً على تلك المعلومات التي كان يرجو أن ينتزعها منه...

الفصل الحادي والعشرون

لم يوجه "لوبين" إلى خادمه "بيير" كلمة لوم واحدة إذ كان يعلم أنه في موقف دفاع عن النفس . وإذا كانت الضربة قد جاءت أشد مما ينبغي فعذره أنه نال منذ لحظات - ومن يد هذا الرجل نفسه - رصاصة استقرت في كتفه ... ولو أنها ترحزحت قليلا لأصابته قلبه وقضت عليه.

وعندما استيقظ في الصباح كان أشد إيمانا بأن ما حدث هو الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن يحدث في مثل هذا الموقف .

على أن الشيء الذي كان يشغل ذهنه بنوع خاص إنما هي النتائج التي ستترتب على هذه الحوادث .. إن "قون بوهيم" ينتظر بفروغ صبر عودة رسوله لينبئه بما أسفر عنه تفتيش اليخت فإذا ما تخلف عن الحضور فلتخلفه تفسيران : الأول هو أنه غدر بزعيمه .. وهو تفسير غير مقبول وغير معقول .. والتفسير الثاني هو أن حادثا وقع له .. وهو التفسير الذي سياخذ به "بوهيم" .

وفي هذه الحالة ما عسى أن يكون موقف "بوهيم" ؟ إنه لن يبلغ البوليس ضد "لوبين" وإلا انكشف سره ووجد من يسأله عن الكيفية التي عرف بها أن لصا سيسطو على اليخت . فضلا عن أنه يكره أن ينبه إليه أنظار البوليس . كما أنه لا يزال يجهل حقيقة شخصية "لوبين" (أي مسيو كوشيه) وقد يخطر له أن "كوشيه" هو نفسه من رجال البوليس .

وجعل "لوبين" يكدر ذهنه ويحاول أن يضع نفسه في موضع "بوهيم" ليتصور ما كان ينبغي أن يفعله في مثل هذا الموقف :

- نعم .. ماذا كنت أفعل لو أنني كنت "قون بوهيم" .. ؟ كنت أحضر إلى اليخت توا لألقي إليه نظرة .. ولكن "بوهيم" لا يمكن أن يفعل هذا وقد اتبع نفس الطريقة في الليلة السابقة . فليس معقولا أن يتفرج على اليخت مرتين في أربع وعشرين ساعة . فإن الأعداء لن تسعفه مهما كان حظه من الذكاء . وفضلا عن هذا فهو يعرف أنه لن يجد رسوله في اليخت . فإذا كنت من رجال البوليس .. أو إذا كنت رجلا حسن النية ولا

شان لي بالمسائل التي يهتم بها "بوهيم" فالتصرف الوحيد المعقول هو أن أرسل اللص إلى مركز البوليس . ولن يستطيع "بوهيم" أن يفعل في هذا الصدد شيئا إلا في الصباح حين تنشر الصحف أنباء الحادث فيبادر إلى دفع الكفالة المطلوبة للإفراج عن رسوله .. ولكن إذا فرض من الناحية الأخرى أنني لست شرطيا ولست شخصا حسن النية بل إنني على العكس من ذلك لص من لصوص البحار أنافس "بوهيم" في مهنته .. فالتصرف الوحيد عندما أقتنص أحد رجال خصمي هو أن أحبس الأسير في يختي فإذا ما خف "بوهيم" لإنقاذه وجدني في انتظاره وقد نصبت له فخا لأقتنصه بدوره .. ولما كانت هذه الزيارة لم تقع في خلال الليل فمعنى ذلك أن "بوهيم" لا يزال يجهل حتى الساعة حقيقة شخصية "لوبين" .

ولما عرف "بيير" أن سيده سيذهب إلى اليخت بلومبرج أخذ ينصحه بالعدول خوفا على حياته فقال له هذا ضاحكا :

- وكيف تريد مني أن اتخلف عن الذهاب والفتاة هناك ؟

- ومعنى ذلك أنك تريد أن تقتل معها .

- بل معناه أنني سأنقذها .. وفضلا عن هذا فإنني لا أحب أن تفلت مني اللحظات السعيدة .. إن "بوهيم" يعتقد بلا شك أنني ساتخلف عن زيارته بعد أن وقع على يختي ذلك الهجوم الليلي .. فإذا رأيته أصعد الآن إلى يخته مشرق الوجه باسم الثغر أنهشه قدومي وأذهله ، ولست ممن يرضون بأن يدعوا منظرا طريفا كهذا يفلت منهم : منظر رجل جامد السحنة كأنه تمثال من الحجر وقد انقلب دفعة واحدة حائرا مرتبكا .

وصح ما ذهب إليه "لوبين" .. فعندما رآه "بوهيم" سقط عن وجهه ذلك القناع الحجري والتمتعت عيناه واختلجت أساريره .. ولكنه ما لبث في طرفة عين أن استرد هدوءه وسكونه .

وقال "بوهيم" يجيبه :

- طاب صباحك يا مسيو "كوشيه" .

فابتسم "لوبين" وقال متمتما :

- لا يطيب الصباح إلا ليلة رائعة كلية الأمل .

- إذن فقد استمتعت بتلك السهرة التي أمضيناها معا ؟

- وبحكاية ساعة النوم أيضا !

فرفع "بوهيم" حاجبيه مستفسرا فابتسم "لويين" وقال في لهجة الرجل الذي لم يشهد في حياته إلا ما ندر من المغامرات :

- لابد أن السطو على السفن مهنة لذيدة .. فقد تسلل إلى يختي لص في الليلة الماضية .

فهتف "بوهيم" قائلا :

- حقا يا عزيزي "كوشيه" ؟ وهل سلبك شيئا ثمينا ؟

- لا شيء على الإطلاق فقد قبضنا عليه .

فقال "سلنبرج" في إعجاب :

- إذن فقد كنت أسعد منا حظا .. ألم يحاول المقاومة ؟

- إن الوقت لم يتسع له .

واقبلت "جوان بارلو" في هذه اللحظة فلم يكمل "لويين" جملته إذ انهمك في تحيتها . واخذ "بوهيم" بذراعها وهو يقول :

- كان مسيو "كوشيه" يقص علينا يا عزيزتي نبأ حادث وقع بالأمس

بعد أن افترقنا .. لقد سطا على يخته لص من لصوص البواخر . ولكنه قبض عليه .

فابتسمت الفتاة وقالت :

- إنها مغامرة لذيدة ..! ولكن كيف تسنى لك أن تقتنصه ..؟

- لقد جاء إلى خادمي "بيير" في أثناء غيبتني وزعم أن لديه رسالة

يريد أن يسلمها إلي يدا بيد ، ثم اغتنم غفلة من "بيير" فضربه على

رأسه بمقبض مسدسه وافقده الوعي .. ولكن "بيير" ما لبث أن استفاق

قبل أن يهرب اللص بما سرق فاشتبكا في عراك عنيف واتفق أن جئت

أنا في هذه اللحظة فانضممت إلى "بيير" .. ولكن الشيطان اطلق علينا

النار غير أن الحظ خانه إذ طاشت الرصاصة .

- وبعد ذلك ..؟

ونطق "بوهيم" بهذا السؤال في صوت هادئ لا ينم عن شيء من

الانفعال كمن لا يعنيه الأمر إلا من حيث إنه حكاية مسلية تفيد في

تمضية الوقت . ولقد أشعل سيجارة في هذه اللحظة فلاحظ "لويين" أن

يده ثابتة لا ترتعد .

- لقد اشتبكنا في النضال كما قلت ونحن نحاول أن ننتزع المسدس من يده . واختطف "بيير" وتدا كان قد جاء به ليطلقه فضرب به اللص على رأسه ضربة أفقدته الرشد . فقيدناه ونقلناه إلى الشاطئ وذهبنا به إلى مخفر البوليس . وعندما أرادوا أن يعملوا له الإسعافات الأولية فطنوا إلى أن الضربة كانت شبه قاتلة وأن المسكين في حالة قريبة من الموت ولا يرجى له شفاء .

وساد الحاضرين صمت طويل .

ولقد ساق إليهم "لوبين" القصة بهذا الشكل الذي يقرب كثيرا مما حدث اتقاء للنتائج التي قد تترتب إذا ما عمد إلى اكدوبة كبيرة .. فلو انه قال مثلا : إن الإصابة كانت خفيفة لتوقع "بوهيم" أن يجد في صفح الصباح انباء الحادث . أما إذا كانت الإصابة قاتلة فالمفترض أن تكتم عن الجمهور ريثما يقوم الأطباء بفحص المصاب وهذا يضمن على الأقل إرجاء إذاعة الحادث إلى صباح اليوم التالي .

وبعد لحظات تمت "شلنبرج" يقول :

- إذن فقد مات اللص ؟

فحنى "لوبين" رأسه قائلا :

- أو هذا هو المنظور على الأقل . فقد هشم "بيير" جمجمته بتلك الضربة العنيفة .

فقالت "جوان" :

- وهل سيقبض البوليس على "بيير" .. ؟

- لا فالحادث يعتبر في مثل هذه الظروف نفاعا عن النفس أي إنه وقع قضاء وقدر .. وإن كنت لا أكتم عنكم أن موت هذا الرجل وإن كان لصا أثر في نفسي تأثيرا شديدا .

وكان "بوهيم" ينظر إلى "لوبين" ويتفرس فيه وقد تصلبت عضلات وجهه والتمعت عيناه ونمت سحنته لأول مرة منذ بدأ الحديث - عن القسوة والبرود .

وقال "بوهيم" مؤمنا :

- ولكنه جنى ما يستحق .. فليس مطلوبا منا أن نربت في عطف ومودة على اللصوص الذين يهاجموننا ، فلا تدع الأمر ينال منك

ويزعجك .

وكان الأستاذ "ماركو" مقبلا فسمع الجملة الأخيرة فقال :

- ما الذي يزعجه ..

فعاد "لوبيين" يقص من جديد حكاية اللص ،في اثناء ذلك جاء احد البحارة يحمل برقية ناولها إلى "بوهيم" ففضها هذا على مهل وتلاها . وفي اثناء قراءته لها لاح عليه أنه استرد سيطرته على اعصابه وتحكمه في عواطفه وأن الصراع الذهني الذي كان يفترسه هذا واستقر .

نهض "بوهيم" واقفا وهو يقول :

- لقد كنا اوشكنا ان نقلع .. فهل تسمحون لي بالانسحاب حتى

اشرف على الامر بنفسى ..؟

ثم مشى في خطوات بطيئة وثيدة .. وأحس "لوبيين" أن اللحظة الحاسمة قد دنت .. وأن المعركة الدامية توشك أن تنشب ..!

الفصل الثاني والعشرون

اشعل "لوبين" سيجارة واستند بمرفقه على سياج اليخت وارسل
بصره إلى البحر الذي كان يتقلب في فيض من اشعة الشمس .
وكانت عيناه تلتصعان أيضا كأنها شعاع من هذه الأشعة .
لقد كان دائما مجنوناً .. ويظهر أنه لا يزال كذلك .
حقيقة أن "كولمان" و "جيلبرت" و"بيير" موجودون في سائت بيتتر..
وحقيقة أنهم يعلمون مكان وجوده .. ولكن اترام يستطيعون أن يخفوا
إلى نجدته إذا ما حاقت به الأخطار ..؟ كلا .. إذ لا سبيل لهم إلى
الوصول إليه .

وها هو ذا و "جوان" إلى جانبه يضربان في الماء على ظهر اليخت
بلومبرج وخلفهما "بوهيم" و "شلنبرج" يدبران الخطط لاغتيالهما
والتخلص منهما يؤيدهما في ذلك نفر من البحارة لا يقلون عن العشرة .
وفي هذا اليخت البعيد عن الرقابة في غمار البحر الهائل . يمكن أن
يحدث أي شيء دون أن ينتبه مخلوق إلى ما حدث .. قد تنطلق رصاصة
فلا يسمع شاهد دوي الطلق ولا صرخة الاستنجاد .. ولا يرى جثة
القتيل أو دماءه التي نزفت .. وقد يقع حادث بالقضاء والقدر يدون في
سجلات اليخت ويشهد نوثيقته على صحته دون أن يكون هناك مجال
للتأكد أو التحقيق .. وقد تضرب اليخت موجة هائلة فتجرف "لوبين"
معه إلى القاع دون أن يتمكن أحد من إنقاذه . وقد تشتبك قدم "جوان"
في أحد الحبال وهي تمشي على الحافة فيختل توازنها وتقع إلى الماء
فتطويها الأمواج قبل أن ينتهي استنجاها إلى أذن من الأذان ١ .
نعم .. قد يقع شيء من هذا عمدا فيقال : إنه جاء عفوا . والبحر يكتم
أسراره لأنه جبار لا يخشى أهل الأرض .

وأخيرا بدأ اليخت يهدئ من سيره وخفتت أصوات المحركات فالتفت
"لوبين" إلى الأستاذ "ماركو" الذي كان جالسا وحده على مقربة منه وقال
له :

— أهذه هي البقعة التي ستقوم فيها بتجربة الغوص ؟

حنى الأستاذ رأسه وقال :

- اظن ذلك . لقد درسنا الخريطة معاً بالأمس فوجدنا ان اعمق مكان يبلغ ٥٦٤ قدماً وهو وإن كان عمقا متوسطا إلا إنه يكفي لإجراء التجربة المبدئية .

ونذكر "لويين" عند هذا أنه و "جوان" ليسا الشخصين الوحيدين اللذين يتهددهما الخطر فإن هناك شخصا ثالثا يرفرف الموت فوق راسه كما يرفرف فوق رأسيهما .

وهذا الشخص هو الأستاذ "ماركو" .

والتفت "لويين" إليه قائلا :

- أتعرف "بوهيم" منذ زمن طويل .

- منذ ستة أشهر . إذ جاءني عقب تجربتي الأولى وعرض علي ان يؤازرنى ماليا فقبلت اقتراحه فرحا إذ كنت في أشد الحاجة إلى المال لمتابعة أبحاثي . وكان كل ما في وسعي ان افعله مقابل هذا السخاء وردا على جميله ، هو ان اسمي باسمه سمكة جديدة اكتشفتها من الصنف الذي لا يعيش إلا في الأعماق البعيدة إذ سميتها "بوهيمان" . وهكذا ترى يا عزيزي اني قدمت إليه كلمة مكونة من سبعة حروف مقابل الوف الجنيهاات التي قدمها إلي .

وضحك الأستاذ ضحكة رنانة مرحة فقال له "لويين" :

- ألم تفكر بعد في المنافع التجارية التي تترتب على استغلال اختراعك ؟

- كلا يا عزيزي .. فإنني أخشى أن يكون اختراعي ذا صبغة علمية محضة .

ثم اتسعت حدقاته ونظر إلى "لويين" قائلا :

- ولكن خبرني .. أهناك أوجه تجارية لاستغلال اختراعي ؟

فتردد "لويين" في أن يلقي إليه بالجواب الصحيح .. فقال :

- كنت أظن ان ..

وسمع إذ ذاك وقع خطوات تدنو منهما فادار راسه ورأى "بوهيم" و "جوان" مقبلين عليهما فأبرك أن الفرصة قد ضاعت وأن لا سبيل إلى مكاشفة المخترع بما في نفسه فقال :

- يمكن مثلا التقاط مناظر سينمائية عن الحياة في أعماق البحار

بواسطة غرفة الغوص التي اخترعتها . ومثل هذه الافلام تكون بلا شك محلا للإقبال .

فقال "ماركو" :

- الواقع اني لا ادري .. ما رايك انت يا مسيو "بوهيم" ؟
فارسل "بوهيم" نظرة حادة إلى "لويين" كأنها نصل سيف ماض ثم قال :

- هذه مسألة لابد من الرجوع فيها إلى رأي خبير فني .. اتحب يا استاذ ان تفحص الجهاز قبل الغداء ؟

مضى الاستاذ "ماركو" وفي رفقته "بوهيم" على حين تخلف عنهما "لويين" و "جوان" قليلا .. وكانت هذه أول فرصة استطاع أن يخلو فيها إليها إذ كانت لا تكاد تتمشى خطوات حتى يلحق بها "بوهيم" أو "شلنبرج" . وحتى في هذه اللحظة كان "شلنبرج" جالسا على أحد المقاعد البحرية الطويلة .. ولكن يظهر أنه كان مستغرقا في النوم إذ كانت قبعته على عينيه وقمه مفتوحا وهو يتنفس في هدوء وانتظام .
وقال "لويين" يخاطب الفتاة :

- لعلك سمعت رأيي في هذه المسألة .

وكان يسير إلى جوارها فضغط ذراعها في رفق فقالت في صوت لا يكاد يسمع ودون أن تحرك شفتيها :

- ليس ثمة خطر .. ؟

- الخطر كامن في كل لحظة من لحظات هذه الرحلة الانتحارية . وقد تتضاعف الشبهات إذا أنا لم أحاول أن أتحدث إليك .

وأوما بأصبعه إلى الفنان الذي يتراءى قائما على صخرة على مرمى البصر وقال كمن يقصد بحديثه الفنان ومن فيه :

- هناك رجل يحدق به الخطر مثلنا .. ولكنه لا يدري من الأمر شيئا .
- الأستاذ "ماركو" ؟

- نعم .. فهل فكرت في أمره ؟

- كثيرا .

- الشيء الذي يحيرني هو الطريقة التي دخل بها ! وعلى الأقل الطريقة التي سنخرجه بها .

- وأنا أيضا أتمنى أن اكشف هذا السر .
فقال "لويين" :

- المعروف أن صاحبنا لا يهتم بالأبحاث العلمية .. وما دعاه إلى الاهتمام بالأستاذ "ماركو" إلا رغبته في الانتفاع بغرفة الغوص .. فإذا ما نجحت التجربة فقد عاد "ماركو" في نظره لا يساوي شيئا فيتخلص منه ويضع يده على الغرفة . ولكن كيف يتخلص منه .. ومتى ؟ .. وتحول عن ناحية الفنار وأخذًا يتابعان السير كأنما انتهى حديثهما عنه .. كان "بوهيم" يراقبهما على البعد وهو واقف مع الأستاذ يفحصان الجهاز . وضحك "لويين" ضحكة عادية وقال في نفس الصوت المجرد عن الاهتمام أو الانفعال :

- إنني منزعج بشأنه .. فهو جدير بأن يحب .. وإذا أصابه سوء انحيت على نفسي باللوم .. فإذا سنحت لك فرصة فحدثني في الأمر فابتسمت وقالت :
- سأحاول .

ولما صاروا في مرمى السمع من أذن "بوهيم" قالت متظاهرة بإتمام حديث كانا منهمكين فيه :
- ولكن زوجة عامل الفنار تتعذب كثيرا بلا شك .
- بالتأكيد .. لا سيما إذا كانت جميلة !!

ووقف "لويين" يتفرج على الجهاز الذي اخترعه الأستاذ "ماركو" . ولم يكن في الواقع عبارة عن غرفة بالمعنى المفهوم وإنما كان بذلة من الفولاذ ولكن جرت العادة بأن توصف بأنها غرفة تميزا لها عن بذلات الغوص العادية التي لا يمكن استعمالها إلا في الأعماق القريبة .. وكان للبذلة وجه يشبه وجوه الدروع الحربية ولكن يختلف عنها في أن له في مكان العينين قطعتين من الزجاج غير القابل للكسر . ويتصل بالبذلة مواسير كهربائية يمكن بواسطتها إيصال الهواء النقي إلى الرجل الذي يكون في داخل البذلة وطرد الهواء الفاسد .. كما كانت هناك أنابيب أخرى لقياس ضغط الماء ودرجة الحرارة ومعرفة بعض المعلومات العلمية المهمة .

وقال "لويين" في اهتمام وإعجاب :

- اهذه بذلة الغوص الجديدة ؟.. ولكنها فيما ارى لا تساعد من فيها
على السير بها في قاع البحر ..؟

- قد يكون هذا صحيحا إلى حد ما .. ولكنها تتيح الحركة إلى الحد
الذي يكفي .. لقد اخترع الدكتور "ليب" جهازا من هذا النوع أمكنه
بواسطته أن يهبط إلى عمق ثلاثة آلاف قدم .. ولكن عيبه أنه كان ضخما
ثقيل الوزن إلى درجة يستحيل معها على عشرين رجلا أن يحركوه من
مكانه خطوة واحدة أما جهازي فعلى العكس من ذلك خفيف إذ إنني
استعضت عن سمك الفولاذ بالوسائل العلمية التي تكفل مقاومة
الضغط فامكنتني بذلك أن أستغني عن ثلاثة أرباع الفولاذ الذي كانت
فائدته الوحيدة مقاومة الضغط فمن الممكن الآن أن يمشى الإنسان
بالجهاز .

فقال "لوبين" متجاهلا :

- الواقع أنه ليست لدي أية فكرة عن قوة الضغط في قاع البحر .
- إن الضغط على عمق ثلاثة آلاف قدم يزيد على نصف طن على
البوصة الواحدة المربعة . فإذا هبط إنسان إلى هذا العمق وهو في بذلة
غوص عادية سحقته المياه وجعلت جسمه وعظامه أشبه بقطعة من
العجين . أما الجهاز الذي اخترعته فلا يؤثر فيه الضغط مطلقا . وفي
وسعك أن تقوم بنفسك بهذه التجربة إذا شئت .
فضحك "لوبين" وقال :

- كلا . وشكرا .. فإني لا أحب أن أعجن .

واخذ "لوبين" يراقب الاستعدادات للتجربة ، فقد كان هناك خطاف
كهربائي أمسك بالبذلة قرفعها في الهواء وأدلاها في الماء وضغط أحد
البحارة زرا خاصا فأطلقت مخالب الخطاف الجهاز . وأدار بحار آخر
عجلة ملفوفا عليها حبال من الفولاذ مشدودة إلى الجهاز فأخذت
ترتخي وتمتد والجهاز يهبط إلى قاع البحر تدريجيا . وكان الأستاذ في
خلال ذلك يراقب أجهزة أخرى أشبه بالساعات ليتبين منها مقدار
الضغط والعمق ثم رفع يده فجأة وقال :

- كفى !

وعند ذلك كف البحار الذي كان يدير العجلة عن إدلاء الجهاز .

واخذ الأستاذ يمسح جبينه بمنديله وقد اشرق وجهه ولاحت عليه امارات الابتهاج .

وتولى المهندس الذي كان حاضرا التجربة إخراج الجهاز من البحر .
والتفت الأستاذ "ماركو" إلى الحاضرين وقال في فخر :

- ٥٠٠ قدم ! ولكني مع ذلك لا أستطيع أن اعتبر هذه التجربة نهائية !

وما كاد الجهاز يستقر على سطح اليخت حتى أمر الأستاذ البحارة بأن يفتحوا بابه الفولاذي الضخم ، ثم أسرع إلى داخله وفحص جهاز الرطوبة ثم خرج إلى أصحابه وقال :

- ليس في الجهاز اثر لقطرة واحدة من الماء .. فإذا استطعت الآن أن أمشي به خيرا مما كنت أمشي بالجهاز القديم فقد نجحت التجربة .
فقال "بوهيم" في اهتمام :

- ولكنك افهمتني أن شكوكك في هذا الشأن لا تستند إلى اساس .
- بالتأكيد .. بالتأكيد .. فأني واثق من النجاح . ولكن لابد من تجربة عملية تحت الماء لاختبار متانة المفصلات التي تصل ساقي الجهاز بجذعه والتأكد من سهولة تحريكها وإن كنت أكرر عليك القول إنني واثق من متانتها وأدائها الغرض المنشود على الوجه الاكمل .
أخذ "بوهيم" بنزاع الأستاذ وهو يقول :

- هيا بنا الآن لنتناول الغداء .

ولبت "كوبين" طول الغداء ساهم الذهن شارد الفكر يتدبر الامر ويقلب الرأي على مختلف وجوهه ويسائل نفسه عن الخطة التي يجب أن يتبعها .. كان يسأل نفسه عن الطريقة التي سيقفل بها "بوهيم" الأستاذ "ماركو" .. ومتى ينوي أن يرتكب هذه الجريمة .. ثم ارتد يتسائل عما يستطيع هو نفسه أن يفعل في هذا الشأن .. وهل يتسنى له أن يجابه "بوهيم" بمفرده على حين أن خصمه مؤيد بعشرة من الرجال الأشداء الذين يتفانون في خدمته .

وانتبه بغتة من خواطره على صوت "بوهيم" وهو يقول له :

- كنت أفكر فيما سوف يرى الأستاذ في قاع البحر .. صدقني إن الحياة هناك لابد أن تكون لذیذة طریفة .

واستمر 'بوهيم' في صوته الأجوف الرنان .
- إني على استعداد لأن أجعلك تختبرها بنفسك .. إذا شئت
وابتسم... وكانت ابتسامة عادية طريفة .. ولكن 'لوبين' وحده هو الذي
فهم مدى رهبتها وقسوتها ..! كما فهم المعنى التهديدي الذي تنطوي
عليه كلماته .

الفصل الثالث والعشرون

كان على ظهر اليخت أسطوانتان مملوءتان بالأكسجين فحص الأستاذ "ماركو" بنفسه صماماتهما ليتأكد من صلاحيتهما للعمل . فلما استوثق من الأمر صافح الحاضرين ودخل جهاز الغوص فناولوه أحد البحارة الأسطوانتين فثبتهما في موضعهما داخل الجهاز . ثم أغلق البحارة عليه الباب .. وبذلك صار الأستاذ حبيساً في تلك الغرفة الفولاذية الضيقة التي لا يرى العالم وهو فيها إلا من خلال كوة زجاجية قريبة من وجهه .

راه الحاضرون وهو يفحص الأضرار والمفاتيح المختلفة الموجودة في داخل الجهاز . ثم وضع على أذنيه سماعتين من المعدن متصلتين ببوق قريب من فمه . وسمع الحاضرون صوته يدوي ويرن قائلاً :

- اتسمعونني ؟-

فاجابه "بوهيم" من خلال البوق القريب من فمه :

- تماماً .. فهل تسمعنني أنت ؟-

- بكل سهولة .. ولكن يجب أن اعمل فيما بعد على تخفيض قوة الصوت لأنه يدوي ويرن داخل الجهاز كأنه طرقات المعاول .

وكان صوت الأستاذ يصل إلى الحاضرين عن طريق بوق مكبر موضوع على المنضدة فوق سطح اليخت .

وضغط الأستاذ زراً أنير بعده الجهاز من الداخل .. وعلى الضوء رأى الحاضرون على مقربة من يده اليمنى مفكرة مثبتة في مشبك خاص وإلى جانبها قلماً من الرصاص ليدون عليها ملاحظاته . وفي الناحية اليسرى راوا آلة فوتوغرافية تتصل عدستها بكوة زجاجية صغيرة لتلتقط بها ما شاء أن تلتقط من الصور في قاع البحر .

ادخل الأستاذ ذراعيه في ذراعي الجهاز وأخذ يحركهما في كل ناحية ليستوثق من سهولة الحركة .. كما أخذ يفتح ويطبق الخطافات الفولاذية الشبيهة بالأصابع وهي مثبتة في يدي الجهاز ..

وأخيراً ارتفع صوته قائلاً :

- كل شيء على ما يرام .. انزلوني !-

فقال "بوهيم" :

- أرجو لك حظاً سعيداً !.

وانطبقت مخالب الآلة الرافعة على جهاز الغوص فرفعته في الهواء وأدلقته في الماء .. وفي نفس الوقت كان البحار الموكل بالحبال القولاذية المشدود إليها الجهاز يدير العجلة الملفوف عليها الحبل ليرخيه تدريجياً . ومهندس اليخت يرسل بصره من حين إلى آخر إلى الآلة الصغيرة المثبتة إلى العجلة لقياس امتداد الحبل .

وبعد ربع الساعة ارتفع صوت الأستاذ "ماركو" من خلال البوق المكبر المتصل بالجهاز بأسلاك خاصة يقول :

- كفى ! العمق عندي ٥٧٥ قدما .

فنظر "بوهيم" في آلة القياس المثبتة إلى العجلة وقال :

- وعندنا أيضا ٥٧٥ قدما .

- هذا بديع .. إنني واقف الآن على قاع البحر .. كل شيء على ما يرام ..

وجهاز التدفئة كان عظيم الأثر لا أشعر الآن بشيء من البرد .

وكان "لوبين" واقفا يستمع إلى هذا الحوار وهو ذاهل مشدوه .. لم يعد يفكر في المسألة التي يمكن أن تنكشف عنها هذه التجربة ولا في الأخطار المحدقة به أو بصاحبته "جوان" . وإنما كان مأخوذا مفتونا بهذه التجربة الرائعة .. بهذا الصوت الأدمي الذي ينبعث من الأعماق السحيقة فيصعد إلى ظهر الأرض كأنه صوت حيوان هائل يعيش في تلك المجاهل التي لا يعرف الناس شيئا عما يدور فيها !.

وتكلم "بوهيم" فقال :

- وهل في وسعك أن تمشي ؟

- اظن ذلك .. فهذا الجهاز أخف وزنا بكثير من الجهاز القديم .

- وهل يمكنك أن تنحني لتلتقط شيئا ؟

ساد صمت قصير .

وارسل "لوبين" بصره إلى "بوهيم" فرأى على وجهه نفس الجمود الرهيب . نفس القناع الذي لا يكشف ذرة من بخيلة نفسه .. كان ولا يزال كأنه قطعة من الحجر .

وارتفع صوت الأستاذ قائلا :

- نعم .. لقد التقطت حجرا من الأرض .. بكل سهولة .

واعقب ذلك ضحكة ثم قال :

- هذه سمكة وقفت تنظر إلي من خلال الكوة . وقد حاولت أن أمسكها ولكنها اقلعت مني .. والآن سأحاول أن أمشي فمدوا لي الحبل قليلا ..
ارخوا لي عشرين قدما أخرى .

ودارت العجلة بضغ ثوان ثم تلا ذلك سكون عميق .. وبدأ على من على ظهر اليخت وجوم غريب كأنما يتوقعون نكبة غير منتظرة !!
وخيل إلى "لوبين" أن الجو متوتر مشحون بالكهرباء . واشتد خفقان قلبه وتصلبت عضلات وجهه وبدأت أعصابه تتحفز وتتوذب .. وحين نظر إلى "بوهيم" رأى على وجهه نفس القناع الحجري .
وارتفع صوت الأستاذ "ماركو" فقال :

- إنني أستطيع أن أمشي بسهولة .. لقد مشيت نحو ثلاثين خطوة في جهتين مختلفتين . إن المشى بطيء ولكنه لا يتعب إلا قليلا . وجهاز الرطوبة ثابت لم يتأثر .

ارسل "لوبين" بصره إلى "بوهيم" .. ولأول مرة رأى القناع الحجري يسقط عن وجهه فترتسم دلائل الظفر والانتصار في عينيه مصحوبة بامارات القسوة الوحشية .. ثم ارتد القناع إلى مكانه كما كان .
وأخرج "بوهيم" منديلا مسح به جبينه وقال :

- لقد نجحت التجربة !

على أنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى ارتفع صوت الأستاذ من خلال البوق المكبر قائلا :

- لقد بدأ الهواء يقل .. يظهر أن هناك خلا في أسطوانة الأكسجين .. وربما كان أحد الصمامات فاسدا .. سأستعمل الأسطوانة الأخرى .
ولكن اظن أنه يحسن بكم أن تخرجوني !
فرفع "بوهيم" يده وصاح في صوت حاد :
- أخرجوه !

أمسكت "جوان" بذراع "لوبين" .. وغرزت أصابعها في لحمه ولكنه لم يشعر بشيء من هذا إذ كانت المفاجأة الرهيبة قد استحوذت عليه وملاّت ذهنه فلم يعد يشعر أو يفكر في شيء آخر .. إنن فهذه هي المكيدة

الجهنمية التي دبرها "بوهيم" للتخلص من الأستاذ "ماركو".! أفسد
اسطوانتي الأكسجين .. أو أفرغ شطرا كبيرا مما فيهما من الهواء
وانزله إلى قاع البحر حتى يموت هناك اختناقا .! فيكون الحادث قضاء
وقدرا .. لا جريمة مدبرة .

وصح ما توقعه "لوبين" إذ لبث المهندس أن قال :
- لقد أصيبت المحركات بخلل فيستحيل إدارة العجلة وإخراج
الجهاز إلا بعد إصلاح هذا الخلل .

فتكلم "بوهيم" في التليفون قائلا :
- إنهم يصلحون الآلة الراقعة يا أستاذ .. وسنخرجك بعد بضع
دقائق ثم التفت إلى المهندس وقال :

- عجل بإصلاح هذا الخلل .. وإياك أن تتهاون .
وبعد فترة قصيرة ارتفع صوت الأستاذ قائلا :
- أرجو الا يكون الخلل خطراً فإن الاسطوانة الثانية معطوبة أيضا ..
وقد بدأ الضغط يشتد فأرجوكم أن تسرعوا ؟

كان "لوبين" واقفا في مكانه كأنه تمثال من الحجر : عضلات وجهه
متصلبة .. وعيناه باردتان كحد السيف .. وقبضته متوترة وقد انغرزت
انظفاره في راحة يده حتى كادت الدماء تسيل منها !

ها هو ذا الأستاذ "ماركو" يموت أمام عينيه .. بجريمة مدبرة بعناية .
وهاهو ذا يقف عاجزا مكتوف اليدين لا يملك أن يخف إلى نجدته
وإنقاذه . وهل في وسعه أن يفعل شيئا حيال الآلة الراقعة المعطلة ؟! إنه
كان يعلم أنها غير معطلة .. وما تلك الحجة إلا ادعاء كاذب يريد منه
التوصل إلى إبقاء الأستاذ "ماركو" في قاع اليم حتى يفسد الهواء
فيموت اختناقا .. ولكن كيف يتدخل ؟ وكيف ينقذه ؟

وهتفت "جوان بارلو" تقول في صوت متوسل :

- اليس في وسعنا أن نفعل شيئا ؟

فاجابها "بوهيم" قائلا :

- إنني لست مهندسا ولا أفهم في المسائل الميكانيكية .

وبعد لحظات صعد المهندس من بطن اليخت وقال :

- لقد احترق الموتور .. والعمال منهمكون الآن في إصلاحه وساد

الحاضرين وجوم طويل . وايقن "لوبيين" أن اللحظة الراهية قد دنت .
وارتفع صوت الأستاذ "ماركو" يقول :
- لقد بدا الهواء يفسد .. ويخيل إلي أنني أوشك أن أختنق .. فماذا
جرى ؟

فاجابه "بوهيم" في هدوء :
- إننا نحاول أن نصلح الآلة الرافعة .
وبعد لحظات تكلم الأستاذ قائلا :
- كاد الهواء ينفد !
وكان صوته مبجوحا متهدجا .. ونظر "لوبيين" إلى "جوان" فأراه
ممتقعة اللون وصدرها يعلو وينخفض وقد نمت عيناها على التائر
الشديد .

وتكلم "لوبيين" قائلا :
- ألا يمكنك أن تصل الحبال بالآلة الأخرى رافعة ؟
- ليس في اليخت آلة أخرى يمكن أن تحتمل هذا الثقل .
- إذا كان لديك كتل ضخمة من الحديد أمكننا أن نربطها في طرف
الحبال وندليها في البحر من الناحية الأخرى فتتهبط على حين يرتفع
الجهاز من الجهة المقابلة .
- إن إخراج الجهاز بواسطة الآلة الرافعة يستغرق ثلث ساعة ..
وإخراجه بالطريقة التي تقول عنها لا يمكن أن يستغرق أقل من ساعة .
على حين أن الهواء الموجود في الجهاز لا يكفي أكثر من بضع دقائق .
وأدرك "لوبيين" أن "بوهيم" على حق فسكت .
وارتفع صوت الأستاذ يقول :
- بدأ الدوار يصيبني ! أشعر بضغط على صدري ! أسرعوا وإلا فلا
فائدة !

أدرك "لوبيين" أن ساعة العمل قد حانت .. وأن لا داعي للانتظار أكثر
من هذا . فظواهر بانه يتمشى على ظهر اليخت حتى إذا اقترب من
"شلمبرج" الذي كان واقفا إلى جوار الأضرار التي تحرك الآلة الرافعة
أخرج مسدسه فجأة وصوبه إلى "شلمبرج" وهو يقول :
- ابتعد عن الأضرار !

فظهرت الدهشة على وجه "شلنبرج" وقال :

- ماذا دهاك يا مسيو "كوشيه" !

وارتفع صوت "بوهيم" قائلا :

- اجننت يا "كوشيه" !

فاجابه "لويين" في صوت رهيب :

- لم اجن بعد .. ولكني ساجن فورا إذا ابى "شلنبرج" أن يتنحى عن

هذه الأزار .. وفي هذه الحالة ستفقد "شلنبرج" إلى الأبد !

فقال "بوهيم" في صوت هادئ كأنما يخاطب رجلا ثملا أو معتوها :

- ولكن ما الفائدة من هذه الثورة الجنونية يا مسيو "كوشيه" وانت

ترى أننا لم ندخر وسعا في عمل كل ما نستطيع ؟

- هناك شيء واحد لم يعمل بعد .. ففتح يا "شلنبرج" عن الأزار

وسترى أن الآلة الرافعة غير معطوبة ..!

- ولكن يا عزيزي "كوشيه" ..

وفي هذه اللحظة ارتفع صوت "جوان بارلو" وهي تصيح محذرة:

- وراءك ..!

واستدار "لويين" في حركة سريعة فرأى بحارا قد اقترب منه من

الخلف وفي يده هراوة من الحديد وقد رفعها وهم بأن يهوي بها على

رأسه .

استطاع "لويين" أن يتقي الضربة التي سددها إليه البحار .. ولكنه لم

يستطع أن يتقي الضربة التي سددها إليه "شلنبرج" إذ اغتتم الفرصة

واختطف إحدى الأدوات الحديدية الموضوعة إلى جانبه وهوى بها على

رأس "لويين" .

وخيل إلى "لويين" أن عينيه وثبتتا من محجريهما .. وبدأت الدنيا

تدور أمام بصره .

ثم أعقب ذلك ظلام دامس ..!

الفصل الرابع والعشرون

عندما فتح "لوبيين" عينيه ألقى نفسه جالسا على أحد المقاعد وعلى مقربة منه "بوهيم" و "شلنبرج" ويد كل منهما في جيبه دلالة على أنهما على استعداد لمواجهة أي خطر . وكان "لوبيين" غير مقيد ، حتى ليخيل لمن يراه أنه ضيف يزور صاحبيه .

وقال "لوبيين" :

- لم يكن هناك مفر مما حدث .. فقد كنت بين نارين فيما أن ينالني البحار من الخلف .. وإما أن ينالني "شلنبرج" من الأمام .. إنني أهنتك يا عزيزي ببراعتك في وضع الخطط .. ولكن كيف حال الأستاذ ؟..

فكان الجواب :

- مما يؤسف له أن الآلة اصلحت بعد فوات الوقت يا مسيو "لوبيين" .

فهز "لوبيين" رأسه وقال :

- إذن فقد عرفت اسمي !..

- بالتأكيد .. الا تذكر ذلك الصحفي المصور الذي التقط صورتنا ونحن جالسون مع الأستاذ في المطعم ؟.. إنه جاسوس من جواسيسي.. وقد سافر بالصورة إلى باريس وعرضها على بعض الأصدقاء فعرفوا شخصيتك .. والبرقية التي جاعنتني في هذا الصباح ونحن على ظهر اليخت كانت تتضمن هذه البيانات . فدعاني هذا إلى أن اغتال الأستاذ "ماركو" قبل الوقت الذي كنت قد حددته .. فمادام "لوبيين" قد برز إلى الميدان فالحكمة تقضي بسرعة العمل .

وانتقل "لوبيين" بخواطره إلى "جوان بارلو" .. كانت حتى هذه اللحظة لا تزال في موقف تعتوره الشكوك .. أما وقد صرخت تحذره من مهاجمة البحار له فقد انكشف من أمرها ما كانت تخفي . وأخذ يسائل نفسه عما فعل بها "بوهيم" .. ولكنه لم يجرؤ على أن يوجه إليه هذا السؤال خشية أن يزيد الموقف تحرجا بالنسبة إليها .

وتمتم "لوبيين" يقول :

- وماذا تنوي أن تصنع بي ؟..

- إن الامر متوقف عليك انت .

- وساد صمت قصير قطعه "بوهيم" بقوله :
- لقد سببت لي يا "لوبيين" متاعب جمة .. والحادث الذي وقع يمكن أن يعد نكبة لم أكن على استعداد لمواجهةها .
- اتقصد موت الأستاذ "ماركو" ؟ ..
- فهز "بوهيم" رأسه قائلا :
- كلا .. فبقاء الأستاذ أو موته سيان عندي ما دامت التجربة قد نجحت .. ولكنني أقصد الرجل الذي سطا على يخطك بالأمس .
- فضحك "لوبيين" هازئا وقال :
- إنك فيما أرى رجل له قلب يشعر ويحس .. أبحزنك موت هذا اللص العادي ؟
- إنه لم يكن لصا عاديا .. بل هو أبرع رجل في أوروبا في تحطيم الخزائن .. ومن هذا ترى أنني في حاجة إليه . فيجب أن تعيده إلي على الفور .
- هذا مستحيل يا صديقي .. فإن ما تطلبه لا يستطيعه إلا رجل يستحضر الأرواح .
- أتريد أن تقول : إنك أصدقته القول حين قلت إنك قتلته ؟ ..
- إن "لوبيين" لا يكذب يا عزيزي .
- وأنت الذي قتلته ؟
- خادمي "بيير" .. والأمر لا يمكن أن يسمى قتلًا إلا إذا وصفنا موت الأستاذ "ماركو" بهذا اللفظ .
- وهل ذهبت به إلى الشاطئ ؟
- لا .. فمن كان مثلي لا تبلغ به الحماسة أن يذهب إلى مخافر البوليس حاملا جثة قتيل ولا عرض نفسه لأسئلة يوجهها إليه بعض رجال البوليس السخفاء .
- إذن ماذا فعلتم به ؟
- دفناه في قاع البحر .
- وجعل "بوهيم" يتفرس في "لوبيين" ثم قال :
- إنني أصدقك .. بل قد صدقتك وأنت تروي لنا الحكاية في الصباح .. وهذا هو الذي دعاني إلى الإبقاء عليك حيا إلى الآن .

- ما اكرمك !

- اما متى تموت فهذا امر يتوقف عليك انت .

وكان "بوهيم" قد امر احد البحارة بان يحمل إلى "لوبيين" كاسا من الشراب فتناول هذا جرعة صغيرة ثم قال :

- دع اللف والدوران وصارحني بما في نفسك .

- إنك مسؤول عن مصرع هذا الرجل .. وليس من السهل ان استعيز بسواه عنه . والوقت ضيق لا يحتمل الإمهال ولهذا ساطلب إليك ان تحل مكانه .

فابتسم "لوبيين" وقال :

- ماذا تقصد ؟

- اسمع يا "لوبيين" .. إننا ذاهبون الآن إلى الموضع الذي غرقت فيه الباخرة شلفونت في شهر مارس الماضي على مقربة من فنار كاسكيه .. ولعلك لا تزال تذكر ان هذه السفينة كانت تحمل شحنة من السبائك الذهبية قيمتها خمسة ملايين من الجنيهات .. وهذه الشحنة مودعة في الخزانة الحديدية الخاصة بالباخرة . وكنت قد آتيت معي بالرجل الذي قتلته انت ليحطم هذه الخزانة فهو كما قلت لك أبرع رجل في أوروبا في تحطيم الخزائن .. فالآن وقد خسرت لا مفر لي من ان أستعين بأبرع رجل في العالم (لا في أوروبا وحدها) في تحطيم الخزائن .. اعني بك انت !

ادرك "لوبيين" في هذه اللحظة لماذا أبقى عليه "بوهيم" حيا . وقال له :

- اتريد ان تنزلني إلى قاع البحر لأحطم خزانة الباخرة ؟

- هذا هو قصدي .

- في جهاز الأستاذ "ماركو" ؟

- كلا .. بل في جهاز غوص عادي .. فإن الباخرة شلفونت مستقرة

على عمق مائة وعشرين قدما فقط . والأجهزة العادية تكفي لبلوغ هذا العمق .

- امعنى ذلك انك تعرض على ان اكون لك شريكا ؟

- بل اعرض عليك فرصة لإنقاذ شريكك .

وشعر "لوبيين" بان قلبه وثب في صدره .. إن "بوهيم" يهدده بقتل

حبيبته "جوان بارلو" إن هو أبى أن يرضخ لما يطلب منه . وفي مثل هذا الموقف يكون الرفض حماقة وجنونا .. ولكنه قال زيادة في الاستفسار :

- وماذا يحدث إذا أنا رفضت ؟

فهز "بوهيم" كتفيه قائلا :

- إنك يا "لوبين" أذكى من أن تسألني أن اطلعك على ما انوي فانت تعلم ما يجري في خاطري . ولكن إذا نفذت ما اطلب منك اوصلت "جوان بارلو" إلى الشاطئ في الوقت المناسب سامة وعلى قيد الحياة .

- اهذا كل شيء ؟

- حسبك هذه المنحة .

- وما يدريني أنك ستبر بوعدك ؟

- لا شيء بالتأكيد .. ولكن عليك أن تختار أهون الشرين . ومادام الأمر موكولا إلى إرداتي فتلبيتك رغبتى يفسح لك على الأقل وقتا ترجو فيه وتؤمل وتدبر وسائل الخلاص . وأنا أعلم أنك رجل لا يداخله اليأس إلا بعد أن يزهق النفس الأخير .. فلكيك ربع الساعة لتأتينى بعدها بما استقر عليه رأيك !

الفصل الخامس والعشرون

لم يمض "لوبيين" هذه المهلة على ظهر اليخت وإنما امضاها في الغرفة السرية المصفحة التي أمر "بوهيم" بنقله إليها . فما كاد يدخلها حتى ألقى "جوان بارلو" جالسة فيها فاحتواها بين ذراعيه وقبلها وقال لها :

- أخيرا قد التقينا .

فابتسمت وقالت في شجاعة :

- التقينا لنفترق .. الفراق الأبدي .. ولكنني سعيدة مع هذا !

فهز "لوبيين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- إن أمامي ربع الساعة أظل فيها سعيدا .

ثم قص عليها ما كان من حديث "فون بوهيم" معه فقالت له :

- وهل تنوي أن تفعل ما يطلب إليك ؟

- بالتأكيد .. فالرضوخ هو ثمن النجاة .

- وهل صدقت وعده ؟

- ولم لا ؟ إن اللص لا يقدم غالبا على جريمة القتل إلا إذا ألقى نفسه

في مازق لاخلص منه إلا بارتكاب هذه الجريمة .

- أنسييت أنه قتل الأستاذ "ماركو" ؟

- هذا بالتأكيد .. والدافع إلى القتل هو أنه أراد أن ينفرد بالاستيلاء

على غرفة الغوص دون أن يشاركه أحد في معرفة سر هذا الاختراع ..

ولكن أي دافع يحمله على قتلنا نحن ؟

- ليضمن سكوتنا وعدم إفشائنا قتله الأستاذ "ماركو" .

- وهل لدينا دليل على أنه قتل الأستاذ "ماركو" عمدا ؟ إن ما شهدناه

يدل على أنه بذل كل جهد في سبيل إنقاذه .. ولكن ما حيلته وقد تعطلت

الآلات ؟ ومن المستحيل أن نثبت العكس وعنده من الشهود عشرة

يؤيدون كل حرف مما يقول . فبقاؤنا على قيد الحياة لن يؤذيه في

شيء . أما موتنا فلن يفيد لأنه يعلم بالتأكيد أن لنا أصدقاء في الخارج

يعلمون مثلما نعلم انه لص السفن الغارقة . فإذا كان دافعه إلى قتلنا
رغبته في كتمان هذه المعلومات فلن يفلح في ذلك لأن أصدقائنا على
معرفة بنفس المعلومات فضلا عن أنهم يعرفون أننا في هذا اليخت ..
فإذا لم نرجع سالمين كان موقفه حرجا .. وفي سانت بيتر من رجالي
كولمان وجيبلبرت .

فقالت "جوان معترضة :

- قد يكون كلامك صحيحا فيما يتعلق بي أنا شخصا .. فهو يعلم
أنني لا أملك شيئا حياله إلا في حدود القانون .. ومادام شهوده
حاضرين فلن يؤذيه إطلاقه سبيلي لأنني عاجزة عن أن أثبت شيئا
ضده . أما بالنسبة إليك فالأمر يختلف عن هذا . لأنك قد ترجع إليه مع
عصابتك فتبطش به . ولذلك استغرب كيف تبلغ به الحماسة أن يفرج
عنه .

فابتسم "لوبيين" وقال ضاحكا :

- لو أنك كنت قاضية لأرعبت المتهمين بأسئلتك الدقيقة .

- ولكني أريد جوابا عن اعتراضى ؟

- يحتمل أنه يعتقد أنني بدأت أخشى وساكف عن النضال بعد أن
رايت من بطشه وقوة بأسه .

- في هذه الحالة يكون "بوهيم" أغبى الأغبياء .

وذلك لأن "أرسين لوبيين" حين قص عليها حديث "بوهيم" ذكر لها أنه
طلب منه تحطيم الخزانة مقابل إطلاق سراحهما . وكنتم عنها أن الثمن
هو إطلاق سراحها هي وحدها .

وسمعا دوي قارب بخاري فنظر "لوبيين" من خلال الكوة فرأى قارب
اليخت يتجه إلى فنار كاسكيه الذي كان على مسافة بضعة عشرات من
الأمطار وعلى ظهره "فانر شلنبرج" مع ثلاثة من البحارة . وأرسل
"لوبيين" بصره إلى الفنار فرأى العاملين مستندين إلى السياج وهما
ينظران إلى ناحية اليخت فارتسمت ابتسامة حزينة على شفثيه وقال :
- سيقتل "شلنبرج" عاملي الفنار حتى لا يريا عملية انتشال الذهب

وحين رجع القارب إلى اليخت كان شيخ العاملين قد اختفى من شرفة
الغبار فتمتم "لوبين" يقول :

- هذان بريثان أخران ذهبا ضحية على مذبح الجشع ..!
واعقب هذا وقع خطوات تدنو من الباب فاحتوى "لوبين" الفتاة بين
ذراعيه وقبلها ثم قال :

- أخاثة أنت ؟

فنظرت في عينيه وقالت :

- ليس الآن ! وإن كنت لا اكتم عنك أنني لا أحب أن أموت وقبلها
"لوبين" مرة أخرى .. وأمسك بوجهها متفرسا في عينيها .. وجعل
يلمس شعرها ووجنتيها .. وجبينها .. كما يلمس العابد صنمه المقدس
متبركا به ..

وكانت عيناها حالمتين ووجهها وديعا ..

وتمتمت تقول . إنك ستظل تذكرني كما أنا الآن ؟
- دائما .

- أنهم آتون .

فتح الباب وظهر على عتبة "فون بوهيم" ويده في جيبيه فوق مقبض
مسدسه وخلفه رجلان . وقال :

- والآن ما هو جوابك ؟

فقال "لوبين" في صوت هادئ :

- إنني على استعداد لما تريد .

واقترع "لوبين" إلى ظهر اليخت فقدموا إليه بذلة غوص عادية من
الطراز الذي يستعمل للوصول إلى الأعماق القريبة . فشرح له "بوهيم"
كيفية استعمالها قائلا :

- .. فإذا أدركت هذا المفتاح تسرب منها الهواء وهبطت مساعدة
الانثقال التي سنضعها فوق كتفك تدريجيا . فإذا ما بلغت القاع فادر
المفتاح مرة أخرى بحيث يدخل إليك من الهواء القدر الذي يكفي للتنفس
وهناك أدوات تحطيم الخزائن التي كان قد أعدها صاحبنا الذي قتل .

وسيرافقك كارلوف ليرشدك إلى مكان الخزانة إذ إنني بينتها له على الرسم الذي يمثل غرف البواخر . كما أنه سيحمل الشعلة الهيدروأكسجينية التي تستعمل لإذابة الفولاذ تحت الماء .. وسيستعملها طبقا لإرشاداتك فقال "لوبين" :

- لقد فهمت .

- وسأكون على اتصال بكما طول الوقت بالتليفون فأرجوك أن تخطرني أولا بأول عما تفعل .. وإذا ما نجحت في تحطيم الخزانة فعليك أن تساعد "كارلوف" على نقل الذهب إلى الآلة الرافعة التي سندليها إلى القاع .. واطن أن هذه هي كل تعليماتي .

ولبس "كارلوف" بذلة غوص مماثلة ، ثم سمع "لوبين" صوت "بوهيم" وهو يخاطبه تليفونيا :

أتسمع صوتي ؟

- نعم .

انطبقت مخالب الآلة الرافعة على جهازي الغوص واخذت تدليهما إلى الماء . وبعد بضع دقائق وقد اقترب الجهاز من القاع شعر "لوبين" بالبرودة الشديدة تسري إلى بدنه حتى خيل إليه أن يديه توشكان أن تتجمدا . ولما استقر على الأرض سمع صوت "كارلوف" الذي كان على قيد خطوات منه يقول :

- أدر مفتاح الهواء .

فعرف أن الجهاز التليفوني الذي يصله باليخت فيه تحويلة تصله أيضا بجهاز "كارلوف" .

ومشي "كارلوف" بضع خطوات و "لوبين" في أثره حتى ألقى نفسه أمام حطام السفينة ففتح جراب الأدوات الذي كان يحمله معه وشرع يعالج باب الخزانة الحديدية الضخمة التي تضم بين جدرانها سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين من الجنيهات .

وعلى الرغم من حرج الموقف .. وعلى الرغم من أن "لوبين" كان يعرف أن هذه المغامرة هي خاتمة حياته إلا أنه ما ملك أن شعر بتوتر أعصابه

إذ كانت هذه أول سرقة من نوعها يقدم عليها .. لقد سرق على ظهر الأرض .. وفي الجو .. وفي البحر .. ولكنه لم يرتكب قط سرقة في قاع البحر ..!

وتكلم "لوبيين" في التليفون قائلاً : لقد شرعت اعمل . وكانت "جوان" تنظر إلى الماء كأنما تتوقع أن يثب "لوبيين" من الأمواج كما خرجت إليه يوما في الضباب . أما "بوهيم" فكان جالسا على مقعد ووجهه الحجري لا ينم عن شيء مما يجري في نفسه . وتتابع الدقائق .. وكانت مثقلة رهيبة .. أترى يفلح "لوبيين" في تحطيم الخزانة وهي من طراز يعجز دون فتحه أعظم الخبراء ؟ وإذا فتحتها فما الذي يمكن أن يترتب على هذا من النتائج ؟ وبعد أربعين دقيقة ارتفع صوت "لوبيين" يقول في هدوء :
- فتحت الخزانة ..!

ولأول مرة أشرق وجه "بوهيم" إذ كان يعتقد أن فتحها أحد المستحيلات ..!

الفصل السادس والعشرون

ما كاد صوت "لويين" يخفت حتى ارتفع صوت "كارلوف" يقول:

- نعم .. لقد فتح الباب .. والخزانة مملوءة بالذهب ..!

- وماذا تريد منا أن نرسل إليك ..؟

- إن نقل هذا الذهب يستغرق وقتا طويلا ، ولكن انتظر لحظة .

وبعد لحظات ارتفع صوته ثانية يقول :

- إن الخزانة مجاورة للسلم .. وفوق السلم سقف من البللور .. فإذا

حطمناه امكن ان ندخل إلينا الرافعة فتدخل خطافها من الفجوة التي

احدثناها وننقل الذهب بواسطتها .. وهذا يوفر شطرا كبيرا من

الوقت .. ولكننا لا نستطيع ان نمكث هنا إلا دقائق قليلة فقد مضى علينا

نحو ثلاثة ارباع الساعة .

ففكر "بوهيم" ثم قال : حطم الزجاج أولا ثم نسحبك بعد هذا .

والتفت إلى اثنين من رجاله المجتمعين حوله وقال :

- استعد يا "رانفيل" أنت و "قاريل" للهبوط فور خروجهما .. اما أنت

يا "بيلاندين" فتول إدارة الآلة الرافعة .

واستمرسل يصدر أوامره وتعليماته إلى أن ارتفع صوت "كارلوف"

يقول :

- لقد احدثنا ثغرة كبيرة في السقف البللوري فاسحبونا الآن فقد بدا

الهواء يفسد .

فاوما "بوهيم" برأسه إلى احد رجاله فشرع يدير العجلة المشدود

إليها جهاز الغوص الخاص بـ "كارلوف" .

ونفض "بوهيم" واقفا ومشى في غير اكتراث صوب الانابيب

المتصلة بالجهازين .. وكانت مشية هادئة غير حافلة شأن الرجل الذي

يهم بأن يقذف إلى البحر بعقب سيجارته .

ثم انحنى فوق إحدى الانابيب المطاطية .

وكان اقترابه منها محفوفا بالجمود وعدم الشعور إلى درجة انكرت

معها "جوان" انه مقدم على جريمة هائلة وأنه ينوي ان يحبس الهواء النقي عن "لويين" فظل يتنازعها الشك في نيته إلى ان أدركت اخيرا الحقيقة الهائلة .

واتسعت حدقتها رعبا .. لقد رأت من قبل أناسا كثيرين يموتون. بل لقد جابهت هي نفسها الموت .. ومنذ فترة وجيزة رأت الأستاذ "ماركو" وهو يقتل بمثل هذه الطريقة .. ولكنها ما شعرت من قبل بمثل هذه البرودة التي سرت في مفاصلها .. وما شعرت بمثل هذا الفزع الذي اعتصر قلبها حتى كاد يسحقه سحقا ..

ودون أن تشعر بما تقول أو تفعل .. أو يجري في خاطرها ، كانت قد وثبتت إلى ناحية "بوهيم" في غير وعي منها فتعلقت بذراعه وأبعدت يده في عنف عن الانبوبة المطاطية . وتناهى إلى سمعها صوت باك متوسل يقول : كلا .. كلا .. لا تفعل هذا !..

وأدركت لدهشتها أنها إنما تسمع صوتها !..

- كلا .. كلا !..

- ماذا جرى يا عزيزتي "جوان" ؟..

وكان "بوهيم" يتفرس فيها بنظرات تدل على الازدراء والاستخفاف وكانت واقفة إزاءه ويدها قابضة على ذراعه .. وصدرها يعلو ويهبط بشدة كأنما جاءت تجري إليه من مسافة بضعة مئات من الأمتار .. ثم ضاعف من انفعالها أن رأت العجلة التي تسحب جهازى الغوص قد توقفت فجأة .

وهتفت "جوان بارلو" قائلة :

- لماذا فعلت هذا ؟..

- ماذا فعلت ؟..

- أوقفت إخراجهما ؟..

- يا عزيزتي هذه هي العملية الطبيعية . فالرجل الذي يلبث في قاع البحر ثلاثة أرباع الساعة تتشبع دماؤه بالنتروجين .. فإذا أخرج من الماء بسرعة وارتفع عنه الضغط الهائل فإن الغاز سيجعل دماؤه تنبثق

"أرسين لويين" في قاع البحر

الماء بسرعة وارتفع عنه الضغط الهائل فإن الغاز سيجعل دماغه تنبثق من مسامه كما يحدث عندما يفور الشراب إذا ما رفعت السدادة ويصاب في هذه الحالة بالشلل المعروف باسم شلل الغواصين . فيجب إذن أن يرفع عنه الضغط تدريجيا .. ولهذا نظام معين مبين في جداول توضع خصيصا لهذا الغرض .. لقد أوقفتهما على عمق ثلاثين قدما ليبقىا هناك نحو خمس دقائق .. ثم عشر دقائق .. على عمق عشرين قدما . ثم ربع الساعة على عمق ..

وادركت "جوان" انه يهزأ بها ويموه عليها فصاحت في انفعال :
- ولكنك كنت تهم بأن تفعل شيئا آخر .

- ماذا تعنين يا عزيزتي ؟

- كنت تنوي أن تعطل إحدى أنابيب الهواء .

- يا عزيزتي .

- أما كنت تنوي أن تفعل هذا ؟

فنظر إليها في برود كأنما يتفرج على طفلة تلهو فصاحت به :

- لا داعي للكذب .. إنني أعرف أنك كنت ستقتله !

رات سحنته وقد انقلبت وارتسمت عليها امارات القسوة وسقط

القناع الحجري الذي يخفي وراءه انفعالاته وعواطفه .. ثم قال :

- وهبيني كنت سأقتله ؟ فألى آية درجة يحزنك موته ؟

فكان جوابها :

- يحزنني إلى درجة لا تستطيع أنت أن تفهمها .. أو تتصورها ثم

انطلقت الكلمات من فمها جارفة .. قوية .. طاغية .. كالسيل الداهم :

- إنني أعرف سبب نزوله .. إنني أعرف سبب موافقته على أن يفتح لك

الخزانة .. إنه ما كان ليفعل هذا لينقذ حياته .. إن من كان مثله لا يمكن

أن يصدق كلمة تصدر عنك .. لقد عرف أنك اعتزمت أن تقتله فور فتحه

الخزانة .. ولكنه لم يكن خائفا .. لقد رأيته .. وتحدثت إليه .. لقد حاول

أن يخفي عني الحقيقة .. كان رائعا في موقفه ! كان شهما ! ولكني

ادركت ما يخفي ! لقد عرفت أنه إنما رضي بأن يحطم الخزانة لكي ينقذ

حياتي انا .. اما حياته هو فكانت مرتخصة لا شان لها !

فابقسم "بوهيم" وقال في تهكم :

- إذن فـ"لويين" شهـم نبيل ! يموت لكي ينقذ شرف سيـدة .. لا ريب
اني إذن لم أفهم نفسيته حق الفهم !

ثم ضحك ضحكة رهيبة وصاح في صوت عنيف :

- أيتها الحمقاء ! إن "لويين" ليس من هذا الطراز !

- لقد قلت له اني لا احب أن أموت .. ففعل هذا ليمنحني الحياة.

فهـز "بوهيم" كتفيه قائلاً :

- يا له من شهـم نبيل !

- ألم أقل لك إنك لن تستطيع أن تفهم ؟! إنك ساومته على حياتي،

وعـدته بأن تبقي على حياتي إذا رضخ لما تريد منه ! ليس كذلك ؟

فتنهـد "بوهيم" وقال :

- لقد هيات له على أية حال فرصة يظهر فيها نبـله وشهامته !

وانحنى ثانية فوق انبوبة الهواء .. ولكنها عادت تبعده عنها وهي

تصيح متوسلة :

- أرجوك أن تطلق سراحه .. دعه وشأنه !! إكراما لي !

- إكراما لك !

وضحك "بوهيم" ضحكة جنونية هائلة ثم صاح يقول في صوت

متهدج :

- إكراما لك ! اتحسبن أن لك عندي مكانة تجعلني أقيم وزنا لرجائك

وتوسلاتك ؟! لقد حاولت أن تخدعيني . حاولت أن تهدميني بجمالـك

وإغوائك .. ولكنك كنت تنوين ألا تقـدمي إلي شيئا ! ومع هذا فمن أجلك

جازفت .. وقذفت بنفسـي إلى الأخطار والمهالك .. من أجلك قامرت بكل

شيء لكي أبقيـك إلى جانبي وأنا أعلم أنك تدبرين لي المكائد وتتهيين

لـطعني من الخلف . اني ما كنت غبيا أو مجنونا ! كنت عليـما ينوأيـاك

الخبيلة ! ولكني كنت أحبك ! لو أنك القيت إلي إذ ذاك امرأاً لصدعت به

ونفذته على الفور ! أما الآن فليس لك أن تأمرني ! بل ليس لك أن

تتضرعي وتتوسلي !

واستدار ثانية إلى الأنبوبة فجذبت "جوان" نراعه فقال لها :

- ابتعدي .. وإلا امرت رجالي بشد وثاقتك !

- إنك لم تنل مني كل ما تبتغي . فإذا قتلته لم تنل مني شيئا !

- بل سأنال منك ما أشاء .. أنسيت أنك أسيرة لدي ؟

- إذن فنل مني ما شئت عنوة إذا كان هذا ما يرضيك !

- إنه يرضيني .

- ولكني أستطيع أن أعطيك .

وسكتت .. فقال "بوهيم" : ماذا ؟

وجعل يتفرس فيها ويدير عينيه في قوامها الغض الفتان ويتأمل

صدرها الناهد المغري ويلتهم بعينه الملتهبين شفثيها الدقيقتين .

وهو يلحق شفثيه وقد أرسلت عيناه بريقا ينم عن تلك الثورة الجارفة

التي اشتملت بدنه وسرت في دمائه .

وتمتم قائلا :

- ماذا ؟

وكان صوته متهدجا .. مبحوحا .. كأنه فحيح الأفعى !

وغضت "جوان" من بصرها وقد مشت في أوصالها رعدة باردة . ثم

أغمضت عينها وغمغت قائلة :

- إذا تركته يرحل بسلام عشت معك .. لا تقتله ، أمنحك من شبابي

وجسمي ما شئت .. وعن طيب خاطر !

الفصل السابع والعشرون

حين ألفى "لوبين" نفسه على ظهر اليخت لم يصدق انه لا يزال على قيد الحياة .. كان يوقن اشد اليقين بان "بوهيم" سيتركه يهلك في قاع البحر كما اهلك الاستاذ "ماركو" من قبل .. لقد حطم له الخزانة ومهد له السبيل إلى الذهب فلم يبق عليه بعد ذلك وليس ثمة منفعة يمكن ان ترجى من وراء حياته ؟ بل على النقيض ستكون حياته مفضية إلى متاعب كثيرة .. إذ إنه لن يصل إلى الشاطئ حتى يرتد ثانية في نفر من رجاله فيبطش بـ"بوهيم" وعصابته .

ولكنه مع ذلك لا يزال حيا يتنفس ويسمع ويرى .. فما السر في هذا الإبقاء عليه ؟ وجعل "لوبين" يكدح ذهنه محاولا ان يصل إلى جواب معقول ؟ ا يكون "بوهيم" ابقى عليه خوفا مما قد يترتب على موته من النتائج إذ يفكر اصداقؤه في مهاجمة اليخت ؟ ولكنه سبب غير معقول فعصابة "لوبين" إذا فقدت زعيمها كانت أقل خطرا وأتفه شأننا مما لو هاجمت اليخت و "لوبين" على رأسها !.

كان حيا دون ان يعرف لماذا بقي حيا .. بل ودون ان يعرف إلى متى تدوم عليه نعمة الحياة وإن كان يؤمن في قرارة نفسه بان هذه النعمة لن تطول كثيرا .

ولكن "لوبين" كان كما قال "بوهيم" : رجلا لا يفقد الأمل إلا بعد ان يلفظ النفس الأخير . فلما كان في قاع البحر يعالج الخزانة الحديدية دس في طيات البذلة الفولاذية أداة صغيرة لتحشيم الاقفال اختلسها من جراب الأدوات التي اعطيت له ليحطم بها الخزانة . فلما صعد إلى ظهر اليخت وأخرجوه من البذلة وقف مستندا إليها برهة متظاهرا بالأعياء ثم طلب قدحا من الشراب يرد إليه نشاطه وقوته التي انهكها الضغط واحتباس الهواء . واغتتم فرصة فالتقط الأداة من طيات الفولاذ ودسها في كفه ثم تهالك على أحد المقاعد في انتظار الكأس .

لم يكن يري ما ينوي أن يفعل بهذه الأداة . ولكنه اراد ان يتهيا

لظروف قد تجد ولا يعلم عنها شيئا .

واقبل عليه "بوهيم" فقال : يظهر أنك كنت محقا عندما وصفت مساعدي القتل بأنه لص عادي فأني إذا قسسته إليك الفيت كفايته في تحطيم الخزائن موضعنا للاستخفاف .

فتمتم "لوبين" في تواضع : ليس من الإنصاف أن تقارن بي مخلوقا .
ولكن ما الذي تنوي أن تفعله بي بعد هذا الغناء ؟.

- سارسلك إلى الغرفة المصفحة لتبقى فيها ريثما أفكر في شأنك واقتيد "لوبين" إلى الغرفة المصفحة وأغلق بابها عليه من الخارج .
فارتقى على الفراش وأغمض عينيه وهو لا يزال يعجب ويتساءل عن السر الذي أبقي عليه حيا حتى الآن ! وما كان أهون من أن يموت في حادث من حوادث القضاء والقدر فيحبس عنه "بوهيم" الهواء النقي ثم يزعم أن الجهاز تعطل كما فعل بالاستاذ "ماركو" من قبل .

كانت "جوان بارلو" على ظهر اليخت . ورائته وهو يهبط إلى الغرفة المصفحة ولكنها لم تدرأسها إليه إذ كانت تعلم أن الثمن الذي دفعته لاقتداء حياته ثمن باهظ . وأن "لوبين" لا يرضى بهذا .

ثم سمعت صوت "شلمبرج" يقول : ومتى ننتهي من العمل ؟..

- لا أبري .. ولكن اظن أنه لابد لنا من أن نرسل "كارلوف" ومعه شخص آخر حين يدرك التعب "رانفيل وناريل" .. ويخيل إلي أننا لن نصل إلى سانت مارتن إلا بعد هبوط المساء .

- وهل هم في انتظارنا ؟

- سأخطرهم الآن بقدمونا .

كانت "جوان" مستندة إلى السياج تنظر إلى البحر ولا ترى شيئا .
فلما وجه إليها "بوهيم" الحديث سمعته ولم تفهم شيئا .. كانت أشبه بالاحياء الأموات .

أخذ بذراعها وهو يقول :

- إنك متعبة يا عزيزتي فهيا بنا لأقدم لك قدحا من الشراب .

فسارت معه دون أن تجيب ودون أن يكون لها إرادة في متابعتها كأنها

امراة نومت تنويما مغناطيسيا .

وقادها إلى غرفة عجلة القيادة ثم ضغط جرسا فلما جاء الخادم امره بان يحمل إليهما اقداح الشراب ..

ناولها 'بوهيم' سيجارة اشعلتها ويدها ترتعد . ولكن راسها كان مرفوعا في انفة .. انفة الكبرياء التي لا تشعر ولا تحس .. وكان قلبها يخفق وينبض بشدة .

احلت الساعة الرهيبة ؟ هل جاء الوقت الذي ينبغي ان تقدم فيه عرضها افتداء للرجل الذي تحب ؟

شعرت بالخوف يعتصر قلبها . وخيل إليها انها اوشكت ان تفقد شجاعتها . ولكنها كانت تنوي ان تقدم على تضحيتها في غير هيبة او وجل .. هذه التضحية البدنية . هذه المذلة . وهذا العار .. هذا الهوان النفسي - كل هذا ما هو إلا افتداء حياة غالية نفيسة . فهل تضحي بحياة رجل من أجل هذه التقاليد التي تواضع عليها الناس ؟

كانت تعلم انها تخدع نفسها بمثل هذه الكلمات الجوفاء . فالشرف كان ولا يزال مثالا أعلى تتعلق به القلوب والأبصار .. ولكنها على الرغم من هذا الاعتقاد كانت مصرة على ان تلبس نفسها العار لتنقذ ذلك الرجل الذي أراد ان ينقذ حياتها وشرقها بتقديم نفسه ضحية للموت وهو يبتسم ويضحك هازئا من كل شيء كمن كان ذاهبا إلى وليمة .

وسمعت صوت 'بوهيم' يقول لها : اسمحي لي بلحظة قصيرة .

وذهب إلى طرف القاعة فارسلت بصرها إليه فرائته يضغط زرأ في الجدار فتحرك دولا ب قائم في ركن الغرفة وانكشف عن فجوة فيها جهاز للتلغراف اللاسلكي . وجلس 'بوهيم' على مقعد إزاء الجهاز وجعل ينقر عليه بطريقة موز .. وكانت 'جوان' شان جميع من يعملون مع 'انجريك' تحفظ عن ظهر قلب الرموز الخاصة بهذه الطريقة وتستعملها في المهام المختلفة التي تتولاها حين يدعو الامر إلى ذلك .

فما إن سمعت نقراته حتى نفضت عنها همومها واحزانها وتنبهت فيها غريزة الشرطية السرية فاخذت ترهف السمع إلى ضرباته وتحل

رموزها .

كانت الضربات الاولى عبارة عن نداء خاص إلى المحطة التي يريد الاتصال بها . فلما تم الاتصال أخذ ينقر نقرات كان تفسيرها :
"فورتين . هاركفيل . أصل هذا المساء حوالي التاسعة والنصف اعد
الفنار والأنوار الكشافه" .

وما كانت "جوان" تعلم شيئاً عن الأسماء التي ذكرها في أول رسالته .
ولكن الشيء الوحيد الذي علمته هو أنها تستطيع ان تستعمل هذا
الجهاز نفسه في الاتصال بأعوان "لوبين" .. ألم يذكر لها "لوبين" ان له
في فندق رويال صديقين يدعى أحدهما "جيلبرت" والآخر "كولمان" ؟ فإذا
ما استطاعت ان تغتني فرصة دخلت هذه القاعة واستعملت الجهاز
فالنجاة مؤكدة .. في وسعها ان تتصل بمحطة التلغراف اللاسلكي
الموجودة في سانت بيتر . وهذه بدورها تتولى إرسال البرقية إلى
الفندق . فمتى تحين هذه الفرصة النادرة ؟

وقالت "جوان" مخاطبة :

إن فلديك جهاز لاسلكي ؟

- إن قائده لا تقدر في كثير من الأحيان . وقد أخطرتهم بأننا سنصل
الليلة .

- إلى أي مكان ؟

- إلى هاركفيل بالقرب من رأي لاهاج .. إن المكان هناك موحش
حقيقة .. ولكنه لهذا السبب هو المكان الذي يتفق وأغراضه وقد أقيمت
هناك قصراً فخماً يشرف على البحر وإنني لأعلم أن الإقامة فيه ستطيب
لك .

- وهل ستنزل "لوبين" إلى البر هناك ؟

فتريث برهة قبل ان يجيبها بقوله :

- ربما ولكن يظهر اني لن أنزله إلا بعد مضي فترة من الوقت إذ يجب

ان اتخذ الحيلة لحماية نفسي .

- ولكن إذا أقسم لك بشرقه ان ..

فضحك 'بوهيم' ساخرا وقال :

وهل لمن كان مثل 'لوبين' شرف يعول عليه ؟.. يجب الا تركني كثيرا إلى شرفه فإن من المحتمل أنه سيرفض أن يتركنا في سلام هياما بك ورغبة في أن يستحوذ عليك لنفسه .

وكانت 'جوان' تخشى هذا .. كانت تخشى أن يعلم 'لوبين' بسر تضحياتها فيأبى أن ينال الحياة بمثل هذا الثمن فغمغمت تقول في صوت خافت :

- ولكن يجب الا يعلم بما حدث .

- هذا بالتأكيد . ولكن لابد أن نلتمس سببا وجيها نفس به بقاءك في البيت .

سكت 'بوهيم' لحظة ثم استرسل يقول :

- وفضلا عن هذا فلا بد لي من أن أصون نفسي من الأخطار . إن هذه الشحنة لا يمكن التخلص منها في غمضة عين . فالسبائك الذهبية ليست كأوراق البنكنوت في سرعة تداولها . وليس من الممكن إيداعها في البنوك .. ولهذا اتخذت لنفسي بنكا خاصا في قاع البحر اكنز فيه هذه الشحنات .. فعلى مقربة من هاركفيل .. وعلى عمق ثلاثين قدما من سطح الماء .. احتفظ بكنوزي من الذهب والجواهر في مكان لا يمكن أن يصل إليه اللصوص العاديون لأن بلوغه يقتضي استعدادات فنية تستنفد مالا كثيرا . وسنذهب الليلة إلى هذا المكان فنضع هذه الشحنة وبذلك يكون لدي في أعماق البحر اثنا عشر مليوناً من الجنيهات أضعها تحت أمرك ورهن إشارتك . فما تشتهين شيئا في الدنيا إلا كان حاضرا بين يديك في غمضة عين . وستعيشين معي كما تعيش الملكات . وبالتأكيد يهمني ألا يعرف 'لوبين' مكان هذا الكنز حتى لا تمتد إليه يده فليس في إمكانني أن أخلي سبيله إلا بعد أن أطمئن من هذه الناحية .

لم تتكلم 'جوان' إذ كانت تعلم أن لا فائدة من الجدل والحوار . وأنه لن يطلق سراح 'لوبين' لا اليوم ولا غدا .. بل سيظل هكذا ينتحل الأسباب الواهية وينتحل الأعذار الكاذبة ليبقيه سجيناً .

اقترب منها 'بوهيم' ولس نراها .. وسرت رعدة من الاشمزاز في
بدنها .. وعندما طوقها بذراعه خيل إليها ان افعى رقطاء قد التفت حول
عنقها . وحين اجتذبتها إليه اغمضت عينيها كما يغمضهما الإنسان
وهو يقذف بنفسه إلى هاوية الموت .
فجأة تراخت عضلاتها وترنح جسمها ثم هوت بين ذراعي 'بوهيم'
فاقدة الوعي !!
فحملها ووضعها على اريكته ثم وقف فوقها يتأملها بعينين نهمتين
ثم هز راسه في استغراب وتركها وانصرف .

الفصل الثامن والعشرون

ظل "لوبيين" رابضاً على فراشه في الغرفة المصفحة وهو يفكر في الخطة التي ينبغي أن يقدم عليها .. لم يكن يدري على وجه التحقيق ما الذي يستطيع أن يفعله بمفرده حيال اثني عشر رجلاً مسلحين بالمسدسات وهو غير مسلح إلا بمديّة يشدها على ذراعه ليستعملها حين الحاجة ولم يفتن إليها خصومه حين فتشوه وجردوه من مسدسه. ولكن الشيء الوحيد الذي كان يعرف أن لابد من الإقدام عليه قبل كل شيء إنما هو خروجه من الغرفة المصفحة.

فلما جن الليل وهذات الأصوات قليلاً واجتمع البحارة في غرفهم الخاصة يتناولون الطعام أو يقرعون أدرك "لوبيين" أن ساعة العمل قد حانت فأخرج من كفه أداة تحطيم الأقفال التي كان قد سرقها من بين الأدوات التي حطم بها الخزّانة فأخذ يعالج بها باب الغرفة في حذر وسكون ... ولم تمض على ذلك دقائق معدودات حتى كان القفل مهشماً .. وليس معنى هذا أن القفل من نوع رديء غير متين .. وإنما معناه أن القفل مهما بلغ من متانة لا يمكن أن يصمد أمام "لوبيين" إلا دقائق لا تذكر .. وما صمدت الخزّانة الهائلة أمامه إلا أربعين دقيقة .

فتح "لوبيين" باب الغرفة تدريجياً وهو يصيح بسمعه إلى أضال الأصوات ، فلما لم يسمع شيئاً تسلل منه ثم أوصده خلفه ووقف متستراً بالظلام .

كان الدهليز الممتد أمامه تقوم على جانبيه أبواب مختلفة موصدة . وما كان يدري أي باب يفتح ؟ وإلى أية غرفة يدخل ؟ فقد يلج غرفة يجد فيها البحارة مجتمعين فيبطشون به . كان يتلهف على مقابلة "جوان" وإشباع عينيه من جمالها ، ولكن رده عن هذه الرغبة الملحة جهله الغرفة التي توجد فيها .

ورأى أن أسلم خطة هي أن يصعد إلى ظهر اليخت فينبطح على سطح إحدى الغرف يرقب .. ويرى .. دون أن يرقبه أو يراه أحد كما فعل

في اول مرة تسلل فيها ليلا إلى اليخت .

ولما صعد "لوبيين" إلى ظهر اليخت كان الظلام يسوده . ولكنه رأى نوراً ينبعث من غرفة عجلة القيادة فوثب إلى ظهر اقرب غرفة إليه ثم زحف حتى استقر فوق سطح الغرفة المضاعة .

وتناهى إلى سمعه صوت "بوهيم" وهو يقول :

- اتريدين قدحا من القهوة يا "جوان" ؟

ولم يسمع "لوبيين" جوابها . ولكنه دلى جسمه قليلا حتى حاذى رأسه اعلى النافذة فاستطاع أن يرى ما يجري في الداخل .. كانوا قد فرغوا من تناول العشاء .. وكان في الغرفة ثلاثة أشخاص : "جوان" .. و "بوهيم" .. و "تسلنبرج" .. وذلك عدا البحار الذي كان يتولى إدارة عجلة القيادة .. وعدا الخادم الذي كان يتردد بين الدخول والخروج !

وتراجع "لوبيين" قليلا خشية أن يراه أحد منهم إذا رفع بصره إلى اعلى النافذة .

ورأى أن من الحماقاة أن يثب إلى الغرفة فيها جم أربعة اشخاص وهو غير مسلح إلا بمدية لا تغني عنه شيئا أمام المسدسات التي ستصوب إليه من كل جانب . فآثر أن يتريث وينتظر حتى تحين فرصة مناسبة . وكان مطمئنا إلى أنهم لن يكتشفوا قراره من الغرفة المصفحة إلا في الصباح حين يحملون إليه الفطور .

وبعد فترة غير قصيرة سمع صوتا لم يسمعه من قبل فرجع لديه أنه صوت الرجل الذي يدير عجلة القيادة وهو يقول :

- الأنوار يا سيدي !

وفي هذه اللحظة رأى "لوبيين" على الشاطئ ضوءا ينبعث من ثلاثة مصابيح حمراء وبيضاء تضاء وتطفأ على التوالي . فادرك أنها إشارات معينة لهداية اليخت إلى مرساه .. وكان يعلم وهو يرى أنوار الميناء بعيدة عن هذه المصابيح أن اليخت سيرسو حتما في مكان بعيد عن الميناء طبقا لما استنتجه من قبل حين رأى الصناديق التي تحتوي على سبائك الذهب موضوعة على ظهر اليخت . وإلى جانبها أجهزة

الغوص دون أن يحاولوا تغطيتها .. وما كانوا ليتركوها عارية مشكوفة
للأنظار وهم يدخلون إلى ميناء رسمي .

وقال 'بوهيم' مجيباً :

قائلاً :

- اصفحي عني يا عزيزتي إذا أرسلتك إلى الغرفة فأني أخشى أن
تفكري في إلقاء نفسك إلى البحر والسباحة إلى الشاطئ كما فعلت من
قبل .

فقالته الفتاة :

- إلى الغرفة ! ولكن ليس مع 'لوبيين' ؟

وكان صوتها حافلاً بالتوسل والخوف .

وأجابها 'بوهيم' بقوله :

- كلا بالتأكيد .. فإن الأمر يصبح شاقاً عليك إذ ذاك .. يمكنك أن
تذهبي إلى غرفتك الخاصة .. وسأذن لك بمغادرتها في أقرب وقت .

أملت الفتاة رأسها ومشت خلف الخادم . واستطاع 'لوبيين' أن يلمح
وجهها فرأه جامداً خائفاً وفي عينيها نظرات تدل على المهانة والمذلة
فتكشفت له حقيقة الأمر وعرف على الفور السر في بقاءه حياً حتى الآن
! إنها تخشى أن تجتمع معه في مكان واحد حتى لا يرى العار الذي
ركبها .. والفضيحة التي انحدرت إليها .. والهوان الذي تمرغت في
أدراجه .. لقد باعت نفسها إلى 'بوهيم' لتتقذه .. باعت عرضها ..
وشرفها . وسمعتها لتمنحه الحياة !

تحفزت عضلات 'لوبيين' .. وتوترت أعصابه .. وخيل إليه أنه يوشك
أن يثب إلى الغرفة فينشب أصابعه في عنق 'بوهيم' ويزهق أنفاسه .
ولكنه كان يعلم أنها خطوة حمقاء فكظم ما بنفسه وراضها على
السكون والتريث . وبذل في ذلك جهد الجبابة حتى لقد شعر بأن
الدماغ توشك أن تنفجر من عروقه .

وارتفع صوت 'شلنبرج' قائلاً :

- وهل سننزل الذهب الليلة ؟

- هذا أسلم . فسرعة العمل أسلم عاقبة إذا ما برز "لوبيين" إلى الميدان فإن من المحتمل أن يكون قد تمكن بطريقة شيطانية من الاتصال بأعوانه وإخطارهم بما حدث . بل إنني أرى من الحكمة أن أغرق اليخت واكف عن هذه الأعمال مؤقتا حتى يهدأ الجو وحسبي الملايين التي اجتمعت عندي .. وفي وسعنا فيما بعد أن نشترى يختا جديدا ونعاود العمل . ولكن لا تنس يا عزيزي "شلنبرج" أن مهمتك هي أن تتولى تصريف السبائك والجواهر الخام .

- لقد شرعت فعلا في هذا واتخذت العدة قبل أن نغادر دينار .

- إذن فكل شيء على ما يرام .

وجاءت هذه الجملة الأخيرة إلى أذني "لوبيين" من طرف القاعة فارسل بصره ورأى أن "بوهيم" قد فتح إحدى النوافذ ووقف يطل منها إلى البحر .

ونظر "لوبيين" بدوره إلى البحر فرأى قاربا يدنو من اليخت وفي مقدمه مصباح كشاف باهر الضوء . فضاغف من التصاقه بسطح الغرفة حتى لا يبدو جسمه في غمار النور الكثاف .

ولما حاذى القارب اليخت سمع "لوبيين" صوت "بوهيم" وهو يقول:

- أهلا بك يا عزيزي "فورنييه" .. اصعد .. اصعد .

ثم تحول إلى ماسك الدفة وقال له :

- نبه على "كارلوف" بأن يستعد للغوص بعد ربع الساعة ونبه على

"رانفيل" بأن يعد لي جهازاً لأغوص أنا أيضا .

وابتعد ماسك الدفة فتولى "بوهيم" عجلة القيادة بدلا عنه .

وفتح باب الغرفة وخرج منها ماسك الدفة .

ورأى "لوبيين" أن ساعة العمل قد حانت .. وإنها فرصة سانحة من

الحماقة أن يدعها تفلت من بين يديه .

ولما مر ماسك الدفة من الموضع الذي يربض فيه "لوبيين" فوق سطح

الغرفة انقض عليه "لوبيين" فجأة وكانت يداه قد انطبقتا على عنقه قبل

أن تنفرج من بين شفثيه الصرخة الهائلة التي أوشك أن يطلقها .

وفي اللحظة التالية رأى ماسك الدفة مدية يلتصق نصلها في الظلام .
وظل النصل يهوي حتى لمس عنقه بشفرته الباردة .
وهمس "لوبيين" في أذنه يقول :
- إذا صرخت أو استنجدت فانت هالك !
ووضع "لوبيين" المدية في غمدها وجرد الرجل من مسدسه ثم صوبه
إليه وهو يقول له :
- والآن انهض وإياك أن تستنجد !
ثم رفع يده عن عنقه فنهض الرجل واقفا وما زالت الدهشة أخذه منه
وقال له "لوبيين" :
- إذا أردت أن تعيش طويلا فاستمع لما أقول .
فحنى الرجل رأسه موافقا فاسترسل "لوبيين" يهمس في أذنه :
- لا تنبئ "كارلوف" برسالة "بوهيم" .. وإنما اذهب بي إليه وقل له .
إن "بوهيم" يأمره بأن يلبسني بذلة الغوص لأنني أنا الذي سأنزل إلى
البحر مع "بوهيم" .. وهذا هو كل ما أريد منك .. ساضع المسدس في
جيبتي .. ولكن أصبغ سيكون على الزناد .. فإذا بدرت منك بادرة تدل
على الغدر استقرت رصاصة في قلبك .. فأياك أن تفكر في الوشابة بي !
ومسالة أخرى .. هي أن تنبه على "كارلوف" عن لسان "بوهيم" بأن يبقى
في الغرفة ولا يصعد إلى ظهر اليخت ليراقب باقي البحارة حتى يحول
دون صعود أي واحد منهم إلى ظهر اليخت .. أفهمت ؟
فحنى الرجل رأسه مؤمنا ولاحث على شفتي "لوبيين" ابتسامة تدل
على الظفر والانتصار .. ومشى إلى جانب ماسك الدفة وهو واثق بأن
مصائر الأمور قد انقلبت إليه و أن الحظ بدا يحالفه .

الفصل التاسع والعشرون

وضع "لوبين" يده في جيبه وأصبعه فوق زنادة المسدس متهيناً للطوارئ ولما اقتربا من غرفة البحارة قال يخاطب ماسك الدفة :
- امسك بذراعي حتى يحسبونني أسيرك .. وإياك أن تفكر في الغدر بي وإلا فالموت يترقبك .

وكانت الغاية التي يرمي إليها "لوبين" من مرافقة "بوهيم" إلى قاع البحر هي أن يعرف المخبا السري الذي يكنز فيه السبائك والجواهر .. ليس في هذه الناحية سفن غارقة يريد أن ينتشل شحنتها .. فالتفسير الوحيد هو أنه سيخفي ما أخرج من الباخرة شلفوننت في قاع البحر . وهكذا يمكن أن يقال : "من الأرض .. وإلى الأرض يعود" !
وقال ماسك الدفة يخاطب البحارة :

- يقول الرئيس إن "لوبين" سينزل ثانية إلى البحر .
وأصغى "لوبين" إلى كلمات الرجل في اهتمام .. كان صوته ثابتاً لا يوحى شيئاً من الشك إلى النفوس . ومع ذلك فقد كان "لوبين" متهيناً لإطلاق الرصاص عندما تبدر من البحارة بادرة تدل على أن الشك بدأ يخالجه . ولكن لم تساورهم الوسواس وقد نزل "لوبين" من قبل إلى البحر . فما الذي يمنع أن ينزل مرة أخرى ؟
واسترسل ماسك الدفة يقول :

- وهو يأمرك يا "رانفيل" أن تعد له بذلة ليرافق "لوبين" إلى القاع ..
فأسرع ..
- حسناً .

وخرج "رانفيل" يصحبه "فاريل" . وهم "كارلوف" بأن يلحق بهما ولكن ماسك الدفة استبقاه قائلاً :

- أما أنت يا "كارلوف" فابق هنا وراقب الآخرين حتى لا يصعد أحد منهم إلى ظهر اليخت عدا المهندس ومساعدته . كما أمر بذلك الرئيس .
فقال "كارلوف" في استغراب :

- وما الداعي إلى هذا الاحتياط العجيب ؟

فهز ماسك الدفة كتفيه قائلا :

- لا أدري .. إنها أوامر الرئيس .

ثم خرج وفي رفاقته "لوبيين" الذي أوصد الباب خلفه .

لقد نجحت الخدعة وجازت عليهم جميعا .. كان "لوبيين" يعلم أن في الأمر مجازفة جنونية إذ من المحتمل أن يصعد "كارلوف" إلى ظهر اليخت لحظة واحدة فتكشف المكيدة عندما يراه "بوهيم" . ولكن "لوبيين" كان يعتمد على ما هو معروف عن "بوهيم" من شدة البطش وقوة الباس وما خبره من طاعة رجاله له طاعة عمياء . وحرصهم على تنفيذ أوامره بمنتهى الدقة والرضوخ .

ولما مر "لوبيين" وهو يجتاز الدهليز بالغرفة المصفحة فتح بابها ودفع إليها ماسك الدفة ولكمه لكمة ألقتة على الأرض صريعا ثم كمم فمه وأغلق الباب وصعد وحده إلى الظهر .. ولم يدهش "رانفيل" و "فاريل" حين رآياه مقبلا وحده وماسك الدفة لا يحرسه .. ورجح لديهما أن ماسك الدفة لا يزال ينهي إلى "كارلوف" الرسالة التي أمره "بوهيم" بنقلها إليه .. ولم يكن ثمة ما يدعو إلى انزعاجهما وهما يعلمان أن "لوبيين" أعزل من السلاح .

ومضى إليهما "لوبيين" فساعداه على الدخول إلى جهاز الغوص .. ولما كان يعلم أن "بوهيم" سيصعد إلى ظهر اليخت بعد قليل فقد انتحى ركنا من المكان على مقربة من الخطاف حتى لا يراه "بوهيم" عند خروجه . ثم اغتنم غفلة منهما فأخرج مديته من جيبه وأخفاها في طيات الجهاز من الخارج حتى إذا احتاج إليها وهو في قاع البحر أمكنه أن يتناولها من بين هذه الثنايا ويستعملها .

وبعد قليل سمع وقع خطوات مقبلة يصحبها صوت "بوهيم" وهو يقول :

- إذن وداعا يا مسيو "فورنييه" .. وإلى الغد .

- إلى الغدا يا سيدي .

وقال "لوبيين" مخاطبا "رانفيل" قبل أن يحضر "بوهيم" :

- ضع الخوذة على رأسي واحكم إغلاق الجهاز .

فعندما جاء "بوهيم" كان "لوبيين" داخل جهازه لا تبدو منه إلا عينان تتالقان خلف الزجاج السميك .. فلو أن "بوهيم" نظر إليه لما عرف أن الرجل الذي في داخل الجهاز هو "لوبيين" لا "كارلوف" .

وبعد بضع دقائق انطبقت خطاطيف الآلة الرافعة على جهازي الغوص وأخذت تدليهما إلى الماء .. وفي نفس الوقت اضيء مصباح كشاف في مقدم اليخت فأرسل ضوءه إلى الماء في خط عمودي تقريبا . وبعد قليل بلغا البحر .. ولم يكن "لوبيين" يدري المهمة المطلوبة منه بصفته "كارلوف" .. ولكنه كان حريصا على أن يتبع "بوهيم" في خطواته إذ المعقول أن يسيرا معا .. غير أنه لاحظ فجأة أن "بوهيم" يشير إليه إشارات يفهم منها أنه يطلب منه أن يبتعد عنه فابتعد على عجل في الاتجاه الذي أشار إليه "بوهيم" .. وسمع صوته في التليفون يقول :

- انزلوا الخطاف !.

ورأي "لوبيين" خطافا هائلا من الفولاذ يهبط فوقهما .. ورأي "بوهيم" وقد أمسك بأحد طرفي الخطاف وجره وأدناه من صخرة هائلة قائمة في قاع البحر .. ففعل مثله وجذب الطرف الثاني من الخطاف وقد أدرك أن "بوهيم" يريد أن يطوق الصخرة بالخطاف !.

وأحاط الخطاف بالصخرة إحاطة السوار بالمعصم .. ثم سمع صوت "بوهيم" يقول :

- ارفعوا الخطاف !.

وأخذ الخطاف يرتفع تدريجيا حاملا معه الصخرة الهائلة فانكشفت فجوة في موضعها هي عبارة عن باب يفضي إلى كهف في قاع البحر . وفي هذا الكهف كان "بوهيم" يخفي جواهره وسبائك الذهبية التي تقدر بأثني عشر مليوناً من الجنيهات .

الفصل الثلاثون

نزل "فون بوهيم" إلى الكهف فهم "لوبين" بان يحذو حذوه ويتبعه.
ولكن هذا أشار إليه بيده قائلا :

- ابق مكانك وحرك الصناديق لتدخل في الفوهة .

فلبث "لوبين" في مكانه عند مدخل الكهف . وبعد لحظات رأى الخطاف يهبط إلى الماء ثانية وقد انطبق فكاه على صندوق من الصناديق التي تحتوي على السبائك الذهبية . وأخذ "لوبين" يحرك الخطاف ويزحزحه بكل ما فيه من قوة إلى ناحية الفوهة حتى إذا صار فوقها بالضبط تكلم في التليفون قائلا :

- أنزلوه تدريجيا !

وبدا من في اليخت يدلون الخطاف تدريجيا داخل الفوهة حتى إذا استقر على أرض الكهف تولى "بوهيم" العمل فأبعد فكي الخطاف عن الصندوق ثم ارتفع صوته في التليفون يقول :

- اسحبوا الخطاف !

خرج الخطاف من الكهف وأخذ يعلو تدريجيا حتى بلغ سطح الماء وبعد دقائق قليلة ظهر الخطاف ثانية وبين فكيه صندوق ثان فأخذ "لوبين" يحركه كما فعل في المرة الأولى إلى ناحية الفوهة . وتكررت نفس العملية السابقة .

وهكذا ظل الخطاف يعلو ويهبط حاملا معه في كل مرة صندوقا جديدا من صناديق الذهب .

كان "لوبين" يعد الصناديق واحدا بعد الآخر ويغتنم فرصة الفترة التي بين إنزال كل صندوق وآخر فيدنو من أنابيب المطاط التي تصل الهواء إلى جهاز "بوهيم" ويحزها بالمدية التي أخرجها من طيات جهازه .

كان "لوبين" يعلم ما يفعل .. ولكنه كان يفعله في برود .. وفي رباطة جاش دون أن ينبض في قلبه عرق بالرحمة أو الشفقة .

كان يذكر في هذه اللحظة الأستاذ "ماركو" وكيف حبس عنه "بوهيم"
الهواء وهو في قاع البحر وتركه يموت اختناقاً .

ثم ذكر نفسه وكيف كان واقفاً أمام باب الخزانة في القاع وهو يتربص
الموت ما بين لحظة وأخرى .. ويتربص أن يضيق تنفسه ويختنق . وما
انقذه من هذه الميته القاسية إلا الثمن الباهظ الذي دفعته "جوان" !

وهنا تذكر "جوان" وتضحيتها الأليمة فاشتد حقه على "بوهيم"
وانتفت من قلبه كل ذرة من ذرات الرحمة .. إذا كان في قلبه شيء منها .
ليس العدل في أن يقتل "بوهيم" .. وإنما العدل في أن يقتل بنفس
الطريقة التي قتل بها ضحاياه .. لقد حبس عنهم الهواء فليحبس عنه
الهواء بدوره .. والجزاء من جنس العمل .

هذا هو عدل "لوبيين" .. وإنه العدل السليم الصحيح !
ومضى "لوبيين" يحز أنبوية الهواء تدريجياً دون أن يقطعها قطعاً
حتى إذا حانت اللحظة المناسبة كانت ضربة واحدة من مديته كافية لأن
تمزقها وتعجل بالنهاية المنشودة .

وأخيراً ارتفع صوت "شلمبرج" يقول في التليفون :

- لقد تم نقل الصناديق كلها !

فقال "بوهيم" مجيباً :

حسناً .

وظهرت خبونه وهو يخرج من الكهف . وفي هذه اللحظة ضرب
"لوبيين" ضربته القاضية فمزق الأنبوية تمزيقاً تاماً . وانحبس الهواء
عن "بوهيم" .

ولكنه لم يدع طرف الأنبوية يعلو ويطفو على سطح الماء وإنما شده
إلى صخرة في القاع . وفي اللحظة التالية قطع السلك التليفوني الذي
يصل جهاز "بوهيم" باليخت !

وإن هي إلا لحظات حتى بدأ الهواء يفسد .. وأخذت أنفاس "بوهيم"
تضيق .. وراه "لوبيين" خلف الزجاج وهو يحرك شفتيه متكلماً ظناً منه
أن صوته يصل إلى اليخت بواسطة التليفون .

وهنا اقترب منه "لوبين" ونقر بيده على زجاج جهازه فنظر هذا إليه بعينين بدا يظهر فيهما الرعب .

وإدنى "لوبين" وجهه منه وأشار إليه بيده كأنما يقول له :
- انظر إلى وجهي !

ونظر "بوهيم" إلى وجهه وعرفه على الفور .

وهنا ارتسمت أمارات الرعب والفرع في عينيه ! ووثب إلى ناحية "لوبين" على قدر ما يستطيع من تحريك ذلك الجهاز الثقيل كأنما يريد أن يبطلش به .. ولكن "لوبين" ابتعد عنه بسرعة ووقف يرقبه من بعيد متشفيا بهذه اللحظة التي انتقم فيها من الرجل الذي يقتل ويريق الدماء دون أن تخالجه عاطفة من الرحمة !

وتكلم "لوبين" في التليفون مقلدا صوت "بوهيم" :

- إني سابقى قليلا هنا فاسحبوا الجهاز الآخر .

ولما استقر "لوبين" على ظهر اليخت أسرع إليه "رانفيل" ورفع الخوذة وأخرج "لوبين" رأسه من الجهاز كما أخرج يده في نفس اللحظة .

وكان في يده مسدس صوبه إلى الحاضرين وهو يقول :

- الآن انتهت اللعبة أيها الأصدقاء !

وما سمع البحارة صوته التهديدي وما راوا المسدس في يده حتى دب الرعب في قلوبهم ونظروا إليه في فرع وخوف .

واستدار إليه "شلتنبرج" وهتف قائلاً :

- أنت ..! كنت اعتقد أن "كارلوف" هو الذي نزل في الماء !

وخرج "لوبين" من الجهاز وهو لا يزال شاهرا مسدسه وتكلم في صوت رهيب قائلاً :

- لقد مات "بوهيم" .. من قتل يقتل .. وبنفس الطريقة ..! لقد حبست

عنه الهواء .. وهذا هو العدل ..! فمن شاء منكم أن يلحق به فليتحرك حركة واحدة .. فالمسدس الذي في يدي قد ينطلق في أية لحظة ..!

وكانما أخذ "شلتنبرج" بهذه النصيحة فامتدت يده إلى جيبيه . ولكن قبل أن تبلغه كانت قد انطلقت رصاصة من مسدس "لوبين" استقرت في

صدره ! فترنج وسقط على الأرض !

وقال "لوبين" يخاطب الباقين :

- اريد احكم ان يستريح إلي جانب "شلنبرج" ؟.. لا ؟.. حسنا إذن

ارفعوا الايدي .. اما أنت يا "رانفيل" فعليك ان تتولى شد وثاق زملائك

ثم رافقني إلى غرفة البحارة لتتولى تقييد الآخرين .

وهنا ارتفع صوت من ناحية السلم يقول :

- لقد قيدناهم نحن بانفسنا !

وخرج من ظلام السلم ثلاثة رجال هم : صديقه "كولمان" و"جيلبرت"

يتبعهما البوليس السري الأمريكي "جون مندرسن" بجسمه الضخم

وراسه الاصلع ..!

الفصل الحادي والثلاثون

قال "كولمان" يحدث رئيسه بما وقع :

- كنا في الفندق نضرب أخماسا في أسداس ونتساعل عن الوسيلة التي تمكننا من الاتصال بك . وفجأة وصلت إلينا البرقية اللاسلكية التي أرسلتها مس "جوان بارلو" .. فأنطلقنا إلى يختك وحضرنا مسرعين . وكان لنا في الليل ستار حجبنا عن الأنظار فاستطعنا أن نستقل قارباً دوننا به من اليخت في الوقت الذي كانت صناديق الذهب تنقل إلى القاع فلم يفتن إلى اقترابنا أحد إذ كانوا منهمكين في نقل الذهب .. فصعدنا إلى اليخت من الجهة الخلفية ونزلنا إلى الغرف وهاجمنا البحارة الذين كانوا في الداخل وقيدنا وثاقهم وكممنا أفواههم .

فاشار "لويين" إلى البوليس السري الأمريكي وقال :

- وكيف هبطت عليكم هذه النكبة الأمريكية ؟

- لقد زارنا في الفندق وأخذ يتحدث عن "جوان" في لهجة حماسية مشوبة بالخوف فاعتقدنا أنه زوجها .. فأرينا أن لا مانع من أن نستصحبه معنا لنتفرج عليكمما وأنتما تتبارزان . فضلاً عن أننا ظننا أنه قد ينفعنا بشيء ما .

وتكلم "جون مندرس" قائلاً :

- اظن يا "لويين" أنه حان الوقت لكي أشكرك على إنقاذك حياتي مرتين في يوم واحد . ولكن ليس معنى الشكر أنني سادعك تسرق هذه الكنوز .. كلا .. إنني لست من هذا الطراز .. وليس في وسعك أن تلفني على أصبعك كما فعلت بـ "جوان" . فمادمت موجوداً هنا فساتولى الأمر بنفسى . ولكن ثق أنني ساتباحث مع شركة أنجربيك لتمنحك عمولة معينة .. وهذه فيما اعتقد أول مرة تنال فيها مالا عن طريق شريف .

فابتسم "لويين" وقال :

- إنني أكل لك الأمر كله عن طيب خاطر فمر بما شئت .

فقال "مندرسن" :

- اذهبوا على الفور إلى الشاطئ واطفئوا رجال البوليس بما حدث
اما انا فسابقى هنا لاحرس أجهزة الغوص حتى اكون على ثقة من انكم
لن تقربوها . والويل لمن تحدثه نفسه منكم بان يستعمل احد هذه
الأجهزة .. فإنني في هذه الحالة لن ارحمه .. وساطلق عليه النار بلا
تردد .

فقال "لوبيين" :

- احرس يا عزيزي الأجهزة كيف شئت .. واعلم اني ساكون سعيدا
بان اتلقى العمولة التي ستمنحها لي الشركة .. لقد سئمت حياة
الصوصية وبودي ان اكفر عن اثامي وخطاياي . ولهذا ساظل مدى
العمر افخر الناس واقول لهم في زهو وخيلاء : انظروا .. لقد جاءتني
هذه الاموال عن طريق شريف ..!

فقال "مندرسن" :

- والان هيا إلى الشاطئ .

- اسمح لي اولا ان اخلو برهة إلى "جوان" .

وخلا إليها .. وكانت جالسة علي ظهر اليخت وشعرها متهدل على
كتفها ولوجهها نضرة الصبا التي فتنته واستولت علي لبه .

وود لو انه احتواها بين ذراعيه واطبق على شفتيها .

ووقف ينظر إليها برهة فتكلمت في صوت موسيقي عذب قائلة :

- لا تنوي ان تنضم إلى شركتنا ؟..

فهرز رأسه وقال :

- وهل تعتقدين ان "لوبيين" يمكن ان يكون بوليسا سريا ..؟

- اني ارى انك نجحت فيما اخفقت فيه نحن .

فابتسم وقال :

- لست اقصد هذا .. وإنما اردت ان اقول إن "لوبيين" لا يمكن ان

يرضى بان يربح مالا عن طريق حلال شريف .

- وفي المستقبل ..؟

- المستقبل ..!

ثم هز كتفيه في استخفاف قائلاً :

- ساظل أعيش كما كنت .. سعيداً بأن أناضل رجال البوليس ..
سعيداً بأن أرى الدنيا كلها تتألب ضدي وأنا أكافحها بمفردي دون أن
تتاح لهم فرصة ينالون فيها مني .. ساسرق .. وأناضل .. وأربح ..
وأخسر .. وأطمع فيما لا أئال .. وأنال ما لا أطمع فيه .. وأساعدهم فيه ..
وأكافح الموت .. والحياة .. وأحارب رجال البوليس .. وأساعدهم ..
وأوصف باني لص .. ولكني أنفذ القانون .. نعم . ساظل أعيش كما
كنت أعيش .. وأقذف بنفسي إلى المتاعب والمغامرات .. وقد أحب مرة
أخرى فلا أطمع منها في شيء إلا في نظرة عطف أو ابتسامة رضاء ..
أما خاتمة حياتي فلا أدري عنها شيئاً .. ولا يهمني أن أدري .. وقد
اشنق .. وقد أصاب برصاصة .. وقد أظعن من الخلف .. ولكني لن
أندم .. لن أندم مطلقاً .. فقد عشت الحياة التي خلقت لها .. والتي يجري
في دمائي حبها وإيثارها .

ونظرت إليه "جوان" طويلاً ثم تمتمت تقول :

- إذن وداعاً ..!

فقال مردداً :

- وداعاً ..!

وانحنى على يدها يقبلها في خشوع وتقديس .

ثم ابتعد متوارياً .. وابتلعه الظلام ..!

* * *

وفي الطريق إلى اليخت "كورسير" تنهد كولمان وقال في أسف:

- إذن فقد خرجنا بلا ثمرة ..! كانت الملايين في أيدينا ومع هذا لم

نصب منها بنساً واحداً .

فابتسم "لوبين" وقال :

- وما أدراك ..؟ أحسبتني طفلاً أهرب مسدساً يصوب إلي ..! كاني

بك لا تعرفني ..! سنذهب إلى يختي .. وفور وصولنا سارتدي مع واحد
منكم جهازتي الغوص الموجودين هناك .. ثم نعود متسللين في جنح
الظلام فنهبط إلى القاع ونغترف من الكنز ما شئنا .. إن "مدرسن"
الابله يظن انه بسهره على اجهزة الغوص الموجودة في اليخت
بلومبرج قد ضمن عدم هبوط احد إلى القاع..! ففي يختي جهازان
ستستعملهما بعد ساعة أو ساعتين ..! إن في الكهف اثني عشر مليوناً
من الجنيهات .. فإذا استولينا على مليون منها لم يشعر احد بما
نقص ..! فاستعدوا يا اولادي فان "لوبين" لا ينهزم ولا يتراجع ..!

"تمت بحمد الله"

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعربة

للروايات البوليسية العالمية

أرسين لوين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحية ويعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوين

نعم..

إنها أشهر الروايات البوليسية..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيح لك هذه

الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوين.

نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمان (٦) ست روايات

(١٠) عشرة دولارات أميركية، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات

وتحصل على رواية إضافية مجانية.

ترسل الطلبات بموجب شيك على أي مصرف في لبنان وبالدولار

الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤولية إرسال أي مبالغ نقدية

داخل الرسائل !

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
 وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك
 مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :
 دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونية - لبنان
 ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم
 دار ميوزيك
 أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
				١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١

الإسم : _____
 العنوان : _____
 ص ب _____ المدينة : _____ الرمز البريدي : _____
 الدولة : _____
 مرسل طية شيك بمبلغ _____ دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها..
سارع في إرسال طلبك !

- | | |
|----|--------------------------|
| ١ | أرسين لوبين بوليس آداب |
| ٢ | أرسين لوبين بوليس سري |
| ٣ | الماسة الزرقاء |
| ٤ | أرسين لوبين رقم ٢ |
| ٥ | أرسين لوبين في السجن |
| ٦ | المعركة الأخيرة |
| ٧ | أرسين لوبين في موسكو |
| ٨ | أرسين لوبين في قاع البحر |
| ٩ | أرسين لوبين في نيويورك |
| ١٠ | استنان النمر |
| ١١ | الميراث المشؤوم |
| ١٢ | اصيغ أرسين لوبين |
| ١٣ | لصوص نيويورك |
| ١٤ | اعترافات أرسين لوبين |
| ١٥ | الإبرة المجوفة |
| ١٦ | الإنذار |